دكتور

محمد سيد أحمد المسير

الحوار بين الجماعات الإسلامية



اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد سيد احمد المسير

القاهرة

دكتور
محمد سيد أحمد المسير

الحوار بين الجماعات الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م

دار الطباعة المحمدية
درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعـــد . .

فقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا أمـــة واحدة ، وصفا واحدا ، ملتزمين بالأمر القرآنى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[1]

ثم جدت أسباب داخلية وخارجية ، قسمت المسلمين إلى شيع وأحزاب ، بدأت بالاقتتال واستقرت على التعصب الفكرى البغيض . .

ولقد حان الوقت كيلا يضرب بعضنا رقاب بعض ، وأصبح من الضرورى الحتمى أن يلتقى المسلمون على كلمة سواء ، فى مواجهة الزحف الصليبى الصهيونى ، والغزو الفكرى ، والنظام العالمى الجديد . .

إن المسلمين تجمعهم كلمة التوحيد ، ويرفعون القرآن فوق الهامات ، ويحفظونه فى الصدور والسطور ، ويغارون على حدود الله ، ويتحلقون حول الكعبة المشرفة ، ويقفون على صعيد واحد من الجبل المبارك فى أرض عرفات ..

إن الفرق والجماعات الإسلامية ، سواء كانت :

فرقا كلامية تجادل فى العقيدة . .

---

(1) سورة آل عمران - الآية ١٠٣

أو اتجاهات فلسفية تحاول التوفيق بين الوحى الإلهى والحكمة البشرية .

أو مذاهب فقهية تسعى إلى معرفة حكم الله فى العبادات والمعاملات . .

أو طرقا صوفية تهتم بالأخلاق والسلوك والمجاهدة . .

أو أحزاباً سياسية تسعى إلى السلطة وإقامة العدل . .

إن هذه الفرق كلها مدعوة إلى الحوار ، كوسيلة للتقارب ، وأسلوب للتفاهم ، وأداة للتلاقى . .

ولا شىء يمتنع فيه الحوار ، ولا أحد يتأبى عليه ، فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، والحكمة ضالة المؤمن ، والدين النصيحة . .

ونحن نعتقد أن الاجتهاد فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة ، وأن من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

وقد جاء هذا البحث ليحدد القضايا التى يدور حولها الاجتهاد ، ومن ثم يدلى الفرقاء برأيهم ، ويسوقون أدلتهم ، وينظرون فى فكر الآخرين بصفاء النية ، وحسن الوعى ، وإخلاص القلب لله . .

فهذه دعوة للحوار ، وتلك هى محاوره .

ويقع البحث فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : ضرورة الحوار .

وفيه فصلان : ١ — الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى .

٢ — مخاطر الأهواء .

وتكلمنا فى الفصل الأول عن تعريف الحوار ، وأنواع الحوار القرآنى فى أطرافه ، وموضوعاته ، وأوقاته ، ونتائجه .

وأكدنا أن الحوار غاية العقلاء، وهو حوار تحكمه آداب وقيم ، تحترم المحاور ، وتعلى من قيمة العقل ، وتمهد للوصول إلى الحق .

وتكلمنا فى الفصل الثانى عن مخاطر الأهواء كما بينها القرآن وكما ظهرت من تاريخ الفرق الإسلامية .

فإن الهوى هو الخروج على موازين العقل الصحيح ، وإيثار الشهوات فى الأنفس والأموال والأولاد ، والتمرد على القيم ، والتعالى على الحق .

وقد يكون لنشأة الفرق أسباب غير معرفة الحق ، لكن بعد استقرار الفرق وشيوعها وجد لها دعاة ينتصرون لها ويقيمون دعائمها الفكرية ، ومن الممكن أن ينضوى ذلك تحت الاجتهاد المقبول ، لولا أنه فى فترات تاريخية ساد التعصب البغيض ، وتحول الدفاع إلى إرهاب سياسى أو إرهاب فكرى . . ! !

الباب الثانى : ضوابط الحوار .

وفيه فصلان : ١ — الاجتهاد بين العقيدة والفقه .

٢ — أصول الإسلام .

وجاء الفصل الأول ليقدم تعريف الاجتهاد ، ومؤهلات المجتهد ، وحكم الخطأ فى الاجتهاد سواء كان الاجتهاد فى العقديات والأصول أو فى العمليات والفروع .

وسقنا رأى الإمام أبى حامد الغزالى والإمام الطوفى ، وعقبنا بما يؤكد أن الكافر أحد شخصين :

- مستكبر يرفض الإيمان حسداً وبغياً .
- مقلد أطفأ نور العقل ولم ينظر فى دلائل الحق

قال الله تعالى « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب »[1] .

أما المجتهد فله حكم آخر ، وله موقف مغاير ، يوضحه قوله تعالى « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيما »[2] .

هذا هو حكم الله فى الآخرة ، أما حكمنا ـ نحن البشر ـ على شخص بالايمان أو الكفر فهو مرتبط بالإقرار بعقائد الإيمان وأركانه ، فمن أقر فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن رفض فهو الكافر يعامل بمقتضى ما ظهر منه ، لأنه لا اطلاع لنا على خفايا الصدور .

والكافر عندنا أحد رجلين : رجل ألقى إلينا السلم فهو فى ذمة الله ورسوله والمؤمنين ، ورجل حمل علينا السلاح فيجب مقاومته ورد العدوان وتأمين الدعوة .

ثم تكلمنا فى الفصل الثانى عن أصول الإسلام وضوابط الاصول والفروع ، وانتهينا إلى أن ما كان قطعى الثبوت ، قطعى الدلالة فهو أصل من أصول الإسلام . .

وأما ما فقد القطع فى ثبوته أو دلالته فليس أصلا يترتب عليه إيمان أو كفر ، وهو مما يجوز فيه الخلاف .

ولا نظن أن الفرق الإسلامية غير الغالية خالفت فى أصل من أصول الإسلام .. !!

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٦٦

(٢) سورة النساء ـ الآية ٤٠ .

الباب الثالث : قضايا الحوار :

تجاوزنا الحديث عن أسباب نشأة الفرق بين المسلمين ، لأنها لا تختلف في أي دين أو ملة أو جنس ، لكن الجزئيات هي التي تتخذ شكل الزمان أو المكان أو العقيدة .

ففي جميع الملل ينضوي أفراد لهم خيال الشعراء أو حكمة الفلاسفة أو سلوك الأوابين .

وفي كافـــة الأديان هناك من يجنح إلى التأويل والإكبار للعقل الإنساني ، وهناك من يلتزم النص ويقف عند الظواهر .

وفي سائر الأزمان وجد المنافقون والخائنون وأصحاب الهوى .

وتربص بكل أمة أعداء من الخارج يسعون لاستئصال شأفتها .

ومن هنا فلسنا نقف عند الأسباب في حد ذاتها ، وإنما نبحث عن القضايا التي تخص الأمة الإسلامية ، والتي دار حولها الافتراق .

وهذه القضايا هي :

— التوحيد والصفات الإلهية .

— القضاء والقدر والتكليف الإنساني .

— الإمامة والخلافة ونظام الحكم .

— وعد الله ووعيده وحكم مرتكب الكبيرة .

— فقه العبادات والمعاملات .

— الفكر الوافد .

— التجديد الديني .

لقد تحدثنا عن الجذور الأولى لهذه القضايا في الأمة الإسلامية ،

وذكرنا التساؤلات التي طرحت حولها، وطالبنا بمناقشتها من جديد لتمييز الأصول من الفروع، ولبيان مانلتقي حوله وما يجوز فيه الخلاف، ولتحديد ما كان تاريخياً مضى فنكف عنه، وما يكون متصلا بحاضرنا ومستقبلنا فنقدم الحلول، ونصوغ الفكر المشترك . . .

« يا أيها الذين آمنوا :

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »[1] .

مكة المكرمة في { ٢١ من المحرم ١٤١٧ هـ
٧ / ٦ /١٩٩٦ م

أبو حذيفة
د . محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر
بالقاهرة
وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ١١٩ .

الباب الأول

ضرورة الحوار

الفصل الأول :

الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى

الفصل الثانى :

مخاطر الأهواء

الفصل الأول

الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى

تعريف الحوار

- أنواع الحوار فى أطرافه
- أنواع الحوار فى موضوعاته
- أنواع الحوار فى أوقاته
- أنواع الحوار فى نتائجه
- النماذج القرآنية

الحوار وأنواعه فى البيان القرآنى

متى تعدد المجتهدون ، وتباينت آراؤهم — كان الحوار وسيلة التقارب ، وأسلوباً للتفاهم ، وأداة للتلاقى .

وتبادل الفكر هو طبيعة البشر ، وسنة الحياة الإنسانية ، ولا شىء يمتنع فيه الحوار ، ولا أحد يتأبى على الحوار .. فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، والعقلاء يسعون إلى الوصول إلى الحق دون مكابرة ، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من أين خرجت . .

تعريف الحوار :

الحوار هو مراجعة الكلام وتبادله بين طرفين متخالفين ، ينتصر كل منهما لرأيه ، ويقدم دليله على معتقده ، رغبة فى أن يظهر الحق لأحدهما ويلتقى الطرفان على رأى واحد يجمعهما . .

وهذا الحوار — فى معناه الصحيح — هو غاية العقلاء ، ومنتهى مقصدهم ، وهو حوار تحكمه آداب وقيم ، تحترم المحاور وتعلى من قيمة العقل وتمهد للوصول إلى الحق ، وتجعل الحوار بناء ، لا يعرف الكبرياء والرفض الأرعن ، أو اللعن القبيح أو الكلم السىء . .

* * *

وإذا تصفحنا آيات الكتاب العزيز وجدنا ألواناً من الحوار ، وأنواعاً من الجدل ، تعددت أطرافها وموضوعاتها ونتائجها وأوقاتها . .

من أنواع الحوار فى أطرافه :

ماجرى بين الله تعالى وملائكته .

وبين الله تعالى ورسله .

وبين الله تعالى وإبليس .

وبين الأنبياء والملائكة .

وبين الأنبياء وأرحامهم .

وبين الأنبياء وأقوامهم .

وبين البشر بعضهم بعضاً .

ومن أنواع الحوار فى موضوعاته :

مادار حول وجود الله تعالى ووحدانيته .

وحول البعث واليوم الآخر .

وحول النبوة والاصطفاء .

وحول الوجود وحكمته .

وحول العلاقات الاجتماعية فى سرائها وضرائها .

ومن أنواع الحوار فى أوقاته :

ما وقع على مدار التاريخ الإنسانى وما سيقع فى مواقف القيامة ، فى الحشر أو فى الجنة أو فى النار .

ومن أنواع الحوار فى نتائجه :

ما انتهى إلى التسليم والإذعان ، وما انتهى إلى المكابرة والتمرد ، وما انتهى إلى الحسرة والتدم . .

• • •

النماذج القرآنية :

١ — بين الله وملائكته :

لعل أول محاورة وردت فى المصحف الشريف هى محاورة المولى سبحانه وتعالى مع ملائكته حول خلق آدم ..

« وإذ قال ربك للملائكة : إنى جاعل فى الأرض خليفة .

قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟

قال : إنى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال :

أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ؟

قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم .

فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »[1] :

فطرفا المحاورة هنا هما : الله جل جلاله والملائكة .

وموضوع المحاورة هو حكمة خلق آدم .

وأسلوب المحاورة قائم على المواجهة والتجربة العملية ، ويتجلى فيه التعظيم والتقديس من الملائكة للخالق الأعظم سبحانه وتعالى ، وينتهى بالتسليم التام من الملائكة ..

* * *

---

(١) سورة البقرة — الآية ٣٠ : ٣٢ .

٢ — بين الله ورسله :

نسوق هنا ما جاء فى موقف الاصطفاء لموسى عليه السلام للنبوة والرسالة :

« وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً ، فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى :

يا موسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إننى أنا الله ، لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ..

وما تلك بيمينك يا موسى ؟ !

قال : هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ..

قال : ألقها يا موسى .

فألقاها فإذا هى حية تسعى .

قال : خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى .

قال : رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً .

قال : قد أوتيت سؤلك ياموسى »[1] .

موضوع هذه المحاورة هو الاصطفاء للنبوة . .

وطرفاها هما الله عز وجل وموسى عليه السلام . .

وأسلوبها قائم على التمهيد والتذكير والتنبيه والتمرين والتكليف والتحبيب . .

فهو تمهيد بدنى ونفسى ، يظهر فى خلع النعلين لطهارة المكان ، والتذكير بالألوهية المقدسة المستحقة للعبادة الخالصة ، والتنبيه على العاقبة الكبرى فى المصير الإنسانى العام .

وهو تمرين يتجلى فى معجزة العصا وإخراج اليد بيضاء ، فقد وقعت التجربتان أمام موسى عليه السلام ثم عاد كل شىء إلى سيرته الأولى وطبيعته السابقة .

وهو تكليف لموسى بحمل أمانة الدعوة والتبليغ للرسالة إلى فرعون وقومه .

وهو تحبيب وتشويق حيث استجاب الله تعالى دعاء موسى فى شرح الصدر وتيسير الأمر وحل العقدة وإشراك أخيه معه فى الرسالة . .

٣ — بين الله تعالى وإبليس :

محاورة الله تعالى لإبليس فى شأن امتناعه عن السجود لآدم تكررت كثيرا فى القرآن الكريم ، فى سور البقرة ، والأعراف ، والحجر ، والإسراء ، وص ، . . قال تعالى :

« فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين »

---

(١) سورة طه ٩ — ٣٦

قال : يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين .

قال : أنا خير منه خلقتنى من نار ، وخلقته من طين .

قال : فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين .

قال : رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون .

قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

قال : فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين..(١)

والشيء العجيب هنا أنه رغم البون الشاسع بين طرفى المحاورة فإن ذلك لم يمنع الحوار والاستماع إلى نهاية المطاف . .

وقد ذكر الإمام الشهرستانى أن شبهة إبليس اللعين مصدرها استبداده بالرأى فى مقابلة النص ، واختياره الهوى فى معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التى خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين .

وأكد الشهرستانى أن شبهات فرق الزيغ والضلال والكفر ترجع جملتها إلى تلك الشبهة الأولى .

فاللعين الأول لما حكم العقل على من لايحكم عليه العقل لزمه أن يجرى حكم الخالق فى الخلق ، أوحكم الخلق فى الخالق ، والأول غلو والثانى تقصير ، فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والغلاة من الروافض ، حيث غلوا فى حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بأوصاف الإله .

---

(١) سورة ص - الآية ٧٣ - ٨٥ .

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا فى وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين ..[٢]

٤ — بين الأنبياء والملائكة :

ومن نماذج ذلك ماجاء فى شأن إبراهيم الخليل وضيفه المكرمين من الملائكة، كقوله تعالى :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، قالوا : سلاماً
قال : سلام

فالبث أن جاء بعجل حنيذ ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط .

وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب

قالت : ياويلتا أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، إن هذا لشىء عجيب

قالوا : أتعجبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ، إن إبراهيم لحليم أواه منيب .

ياإبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود[١] » .

والملاحظ أن الحوار هنا تعدد فى أطرافه وموضوعاته ونتائجه، فأطرافه الملائكة وإبراهيم وزوجه سارة ..

---

(٢) الملل والنحل / تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص ١٤ :١٨ ط. دار الفكر — لبنان .

(٢) سورة هود — الآية ٦٩ ، ٧٦

وموضوعاته هى : البشرى بالغلام العليم إسحق من زوجه ساره ورفض الضيف للطعام المقدم . والحديث بشأن قوم لوط والعقاب الواقع عليهم .

وكانت نتائج الحوار بالنسبة للموضوع الأول القبول والسرور ، وبالنسبة للموضوع الثانى هو التفهم لطبيعة هؤلاء الضيف وأنهم ملائكة منزهون عن المآكل والمشارب .

وبالنسبة للموضوع الثالث هو التنبيه على إبراهيم بعدم الخوض فيه ، لأنه قضاء مبرم من الله عز وجل ، وقد طمأنته الملائكة على ما كان يخشاه على لوط وأهل بيته فلن يمسهم سوء ما عدا زوجه الخائنة كما جاء فى قوله تعالى فى سورة أخرى :

« قال : إن فيها لوطا .

قالو : نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين »[1]

٥ — بين الأنبياء والأولياء :

مثال ذلك الحوار العجيب العميق بين موسى عليه السلام والعبد الصالح ، عندما ذهب موسى وفتاه إلى مجمع البحرين والتقيا بعبد آتاه الله رحمة ، وعلمه علما يتخطى حجب الزمان والمكان ، ويستشرف الغايات الكبرى ، ويتطلع إلى العواقب التى تخفى على العقول وتحار فيها الألباب .

وقد سجل القرآن المجيد هذا الحوار بأسلوب شائق معجز فقال : « قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٣٢ .

قال : ستجدنى إن شاء الله صابرا ، ولا أعصى لك أمرا . . .

قال : فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . .

فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها ،

قال : أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا إمرا . .

قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا ؟ !

قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ، ولا ترهقنى من أمرى عسراً . .

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله ..

قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا .

قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا ؟!

قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا ..

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه..

قال : لو شئت لاتخذت عليه أجرا . .

قال : هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا . . . »[1] .

لقد بدأ اللقاء بحوار حول الصحبة من أجل العلم الرشيد ، واشترط العبد الصالح على موسى أن يصبر صبرا تاما ، وأن يتلقى الأمور بالصمت الكامل حتى يستبين الحكمة وتصل إليه بهدوء .

وبدأت سلسلة من الأحداث ، كل لاحق منها أعمق من سابقه وأدعى إلى الحيرة ، ولم يتحملها موسى ، وتعجل السؤال عن حكمتها ، وجاءه التنبيه

---

(١) سورة الكهف : الآية ٦٦ — ٧٨

تلو التنبيه بضرورة الصبر والالتزام بشرط الصحبة ، وعقب الحدث الثالث كان لابد من بيان عاجل وفراق لا مفر منه .

وأعلن العبد الصالح نماذج من حكمة الوجود العليا ، فكان خرق السفينة انقاذا من ظلم الملك الطاغية ، حفاظا على حق أهلها المساكين .

وكان قتل الغلام إنقاذا لأبويه وحماية لهما من الكفر .

وكان إقامة الجدار انقاذا ليتيمين ترك أبوهما كنزا تحت الجدار .

وفي ذلك ما يدفع الناس إلى صدق اليقين بالله ، وحسن التوكل عليه ، والرضا بما قسم الله .

٦ — بين الأنبياء وأرحامهم :

مثال ذلك الحوار اللطيف البليغ بين إبراهيم الخليل وأبيه حول عبادة الأصنام .. قال تعالى : « واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ، إذ قال لأبيه :

يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا .

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا .

يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا .

يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا

قال :

أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا

قال : سلام عليك سأستغفر لك ربي ، إنه كان بي حفيا ، وأعتزلكم

وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا »[1] .

لقد بدأ الحوار بتأكيد معانى البنوة والأبوة التى تقتضى الرحمة وصدق الود وخالص المشاعر .

وأوضح ابراهيم أنه صاحب دعوة خير ، وأولى الناس بها أبوه وأهله .

وأقام إبراهيم الحجة على أبيه بأن الأصنام صماء عمياء بكماء ، لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً أو ضرا ، وأن هـــذا الانحراف العقدى من تزيين الشيطان الذى يسعى لإضلال البشر وإفساد الفطرة ... فى وقت تتوالى النعم من الله بلا انقطاع وتستمر العطايا الإلهية بلا توقف .

لكن الرجل لم يفهم ، وطغت عليه طبائع الكفر واستحكمت فيه عادات البيئة الفاسدة ، فتوعد إبراهيم بالرجم إذا لم ينته عن دعوته..

وقابل إبراهيم وعيد أبيه بالصفح ، ودعاه إلى التمهل عسى أن تأتيه لحظة فتح أو نفحة رحمة أو ومضة نور .

٧ — بين الأنبياء وأقوامهم :

من نماذج ذلك موقف نوح عليه السلام فى جداله مع قومه ، وقد ساقه القرآن المجيد فى سور متعددة منها قوله تعالى فى سورة هود :

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه :

إنى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم .

---

(١) سورة مريم : الآية ٤١ — ٤٨

فقال الملأ الذين كفروا من قومه :

ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين .

قال :

يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقو ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون .

ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ؟

ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ، ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم ، إنى إذاً لمن الظالمين .

قالوا :

يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

قال :

إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ، هو ربكم وإليه ترجعون . أم يقولون افتراه ، قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون ...[١] .

---

(١) سورة هود : الآية ٢٥ : ٣٥

والملاحظ هنا أن نوحا عليه السلام بدأ بعرض رسالته وبيان دعوته في اختصار شديد (إنى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) .

فانهال عليه المستكبرون من قومه ، وصبوا عليه تهما شتى ، وطعنوا فى شخصيته وشخصيات من آمن معه .

فانبرى لهم نوح عليه السلام مفنداً وموضحا وشارحا ومفصلا . . فاتهمهم بالعمى والجهل لأن معه بينات الهدى ودلائل الحق، ولأنه صاحب رسالة هى الرحمة يقدمها لهم دون مقابل مادى ، وقد آمن به من آمن إحتسابا لوجه الله، واعترافا بالحقيقة ، واذعانا للحق، وليس لديه إغراءات يخدع بها أحدا .

وبين لهم نوح عليه السلام حقيقة النبوة ، فما هو إلا بشر مصطفى ، وإنسان نبى ، لا يسيطر على خزائن ملك الله ، ولا يعلم غيب المستقبل ، ولا يملك قدرات خارقة ، وإنما هو حيث يضعه الله عز وجل ، وحيث يوجهه ، وحيث يجرى على يديه ما يشاء .

وعند هذه النقطة لم يجد القوم مفرا من إظهار المعاندة الشديدة ، والاستهواء بالوعيد ، فقطعوا الحوار واغلقوا باب النقاش . . فعاجلهم نوح عليه السلام بتنبيه قوى ، هو أن الوعيد الذى يستحقونه لا يملك إيقافه أو تأجيله بل هو متروك لإرادة الله وحده ، ولا يستطيع نوح أن يجبرهم على طريق الهداية وإنما يقدم النصيحة المخلصة .

وليقف الجميع أمام عدل الله يحكم لا معقب لحكمه .

(قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون) .

• • •

٨ — بين البشر بعضهم بعضا .

ونسوق مثالا لذلك :

قصة صاحب الجنتين فى سورة الكهف .

وقصة أصحاب الجنة فى سورة القلم .

وكلتا القصتين تتعلقان بالمال وفتنته ، والحرص الغبي من الأغنياء بمنع المال من مصارفه الشرعية فى البر والخير .

وطرفا الحوار فى قصة صاحب الجنتين رجلان متقابلان ، أحدهما كافر غنى والآخر مؤمن فقير .

[فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا][1] .

وطرفا الحوار فى قصة أصحاب الجنة ، الأخ الأوسط العاقل الأريب فى مواجهة باقى إخوته . . لقد انشق عليهم ورفض منطقهم الفاسد فى منع المساكين من حقوقهم الشرعية من مال الله الذى آتاهم .

[فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين ، فلما رأوها قالوا إنا لضالون ، بل نحن محرومون ، قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون][2] .

وانتهى الحوار فى قصة صاحب الجنتين إلى العناد والإصرار على الكفر .

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٤

(٢) سورة القلم — الآية ٢٣ : ٢٨

[ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا](١).

وانتهى الحوار فى قصة أصحاب الجنة إلى التوبة والإنابة إلى الله والندم على ما فرط منهم .

[قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين، فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين](٢) .

وتشترك القصتان فى ضياع المال وفقد الثروة وذهاب الغنى، فأصبحت الجنتان خاويتين على عروشها ، وأصبحت الجنة كالصريم ، إلا أن الأمل مفقود تماما فى عودة الجنتين إلى طبيعتها .

[وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا](٣) .

أما أصحاب الجنة فكانت لهم ثقة فى رحمة الله وعفوه بعدما ندموا ندم توبة :

[عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون](٤) .

* * *

---

(١) سورة الكهف — الآية ٣٥ : ٣٦
(٢) سورة القلم — الآية ٢٩ : ٣١
(٣) سورة الكهف — الآية ٤٢ : ٤٣
(٤) سورة القلم — الآية ٣٢

٩ — من نماذج الحوار فى الآخرة :

ساق القرآن المجيد نماذج متعددة لألوان من الحوار ستجرى يوم القيامة وفى مواقف مختلفة تحسم قضايا جرى حولها الخلاف فى الحياة الدنيا، ووصل الجميع إلى عين اليقين ، وتراءت الحقيقة كاملة ، وانزاحت حجب كثيرة ، ومن هذه النماذج :

- ما يتعلق بألوهية المسيح عليه السلام ومزاعم النصارى حولها :

[وإذ قال الله :

ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟

قال :

سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب .

ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

قال الله :

هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم [1] .

* * *

(١) سورة المائدة — الآية ١١٦ : ١١٩

• ما يتعلق بالمصير الإنسانى الأخير ، والجزاء الأخروى الأبدى ، وبشرى أهل الجنة وحسرة أهل الجحيم .

[ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار :

أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

قالوا : نعم .

فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين][(١)] .

وتتوالى عقب ذلك مجموعة حوارات بين أصحاب الأعراف وأهل الجنة ، وأصحاب الأعراف وأهل النار ، ثم أهل النار وأهل الجنة .

وتنتهى تلك المجموعة من الحوار فى سورة الأعراف بفصل الخطاب [قالوا :

إن الله حرمهما على الكافرين ، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وغرتهم الحياة الدنيا .

فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون . ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون][(٢)] .

* * *

وبعد . .

فالحوار من ألزم واجبات العقل ، وآكد ضرورات الفكر ، مهما تعددت سبل الاجتهاد وبعدت شقة الخلاف وتباينت وجهات النظر .

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ٤٤

(٢) « « « ٥٠ : ٥٢ .

فأولى بأصحاب الفرق الإسلامية أن يلتقوا حول كلمة سواء، وصولا إلى الحق وإنصافاً للحقيقة .. وقد توفر لهم من أسباب الإتفاق وعوامل التقارب ما لم يتوفر لأى ملة أو مذهب .

ونحن أحرص الناس على نور الوحى، وصفاء العقل، وأدب الحوار ونحن أهل تلك البشرى :

[فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب][1] .

---

(١) سورة الزمر الآية ١٧ : ١٨

الفصل الثاني

مخاطر الأهواء

- من البيان القرآنى
- من تاريخ الفرق

• الإرهاب السياسى

• الإرهاب الفكرى

١ — وضع الأحاديث

٢ — الأحكام الجائرة

٣ — المقارنات غير المنصفة

مخاطر الأهواء

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل وكرمه بالدين ، ومنحه وسائل المعرفة الصحيحة ليدرك الحق من الباطل ، والطيب من الخبيث ، والصدق من الكذب .. قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »[1] .

والخروج على موازين العقل الصحيح ، وإيثار الشهوات فى الأنفس والأموال والأولاد ، والتمرد على القيم ، والتعالى على الخلق .. كل ذلك يندرج تحت اسم الهوى ..

ولكى نستبين مخاطر الأهواء نلقى السمع ونلتقط إشارات من جهتين :

— البيان القرآنى — تاريخ الفرق الإسلامية

• • •

---

(١) سورة النحل - الآية ٧٨

(ا) من البيان القرآنى

• الحق والهوى لايلتقيان ، فالحق واحد والهوى متعدد ..

والحق يجمع الأمة والهوى يفرقها ..

والحق يؤازر الخير والفضيلة ، والهوى حليف الشر والرذيلة ..

قال الله تعالى « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن »[1] ولهذا ارتبط الهوى بالشيطان الذى يزين القبيح ويصد الإنسان صدوداً عن الصراط المستقيم .. قال تعالى : قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين »[2] .

ومعنى قوله « استهوته الشياطين » حملته على اتباع الهوى .

• وأصحاب الأهواء يفقدون كرامة العقل ، ويقوم فكرهم على التقليد الأعمى والانسياق بلا وعى ، وقد ضل اليهود والنصارى لحبهم الدنيا وإيثارهم متاع الحياة الرخيص ، ثم توارثوا الضلال جيلا بعد جيل دون نظر وتفكر .. قال تعالى « قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل »[3] .

• إن الهوى يدفع إلى الظلم ، ويقوم على الأثرة ، ويتنافى مع قيم العدل

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآية ٧١
(٢) « الأنعام ـ الآية ٧١
(٣) « المائدة ـ الآية ٧٧

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً »[١] .

وعندما جعل الله تعالى داود نبيا ملكا أمره بالعدل ونهاه عن الهوى ، فقال « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب »[٢] .

ويأتى فى قمة الظلم ـ الكفر بالله وعبادة غيره سبحانه ، و تعظيم الأصنام واتخاذها أربابا من دون الله .. قال تعالى « إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[٣] .

ولقد دفع الهوى اليهود إلى قتل الأنبياء وتكذيبهم رغم معرفتهم الكاملة بصدق دعوى النبوة .. قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »[٤] .

إن أصحاب الأهواء يرتكبون أسوأ الجرائم ، ويكذبون الحق

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١٣٥
(٢) « ص ـ الآية ٢٦
(٣) « النجم ـ الآية ٢٣
(٤) « البقرة ـ الآية ٨٧

ويشوهون الحقيقة، ويغمزون الشرفاء ويستهزئون بالمصلحين .. قال تعالى « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم »[1] .

• إن أصحاب الأهواء يواصلون مسيرة إضلال الناس وإفساد عقائدهم، ويصرون إصراراً على نشر مذاهبهم الهدامة .. قال تعالى « قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، قل لا أتبع أهواءكم ، قد ضللت - إذاً - وما أنا من المهتدين »[2] .

ولاحظ التعبير القرآني « تدعون » إنهم يدعون آلهتهم ويدعون لهم، أي إنهم يخططون ويذيعون وينشرون ،ومن هنا كان تحذير القرآن شديداً من مصاحبة أهل الأهواء، والوقوع في شراكهم وخداعهم .. قال تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا »[3] .

ودعا القرآن أهل الحق إلى التمسك بالهدى الإلهي والإصرار على الوحي المقدس والالتزام بالشريعة السمحاء دون التفات إلى غوغائية أهل أهواء .. قال تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين »[4] .

---

(١) سورة محمد - الآية ١٦
(٢) « الأنعام - الآية ٥٦
(٣) « الكهف - الآية ٢٨
(٤) « الجاثية - الآية ١٨، ١٩

• قدم القرآن تشبيها لأهل الأهواء الذين يعلمون الحق ويرفضون الولاء له ، ويعرفون الفضيلة ويتمردون عليها . ويرون النور ثم لايسيرون فى ضوئه ، وبين أيديهم الهدى ويؤثرون الهوى عليه . .

لقد شبههم بالكلب اللاهث ، فهو لاينفك عن اللهاث فى الإعياء والراحة ، فى الحر والبرد . .

كذلك فإن أصحاب الأهواء لاتنفعهم موعظة ولاتفيدهم تذكرة ، ولا تصل إلى قلوبهم هداية ، ولا تتفتح عقولهم على الحق . .

قال تعالى « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون »[١].

إن هذا مثل ضربه الله تعالى لمن عرف الحق فأنكره ، أو تعلم العلم فلم يعمل به . .

لقد أنزل الله البينات والهدى رفعة للإنسان وعزة له فى الدنيا وكرامة له فى الآخرة ، لكن أصحاب الأهواء آثروا متاع الحياة الرخيص وركنوا إلى شهوات النفس الآثمة فأهلكوا الحرث والنسل فخسروا الخسران المبين . .

---

(١) سورة الأعراف - الآية ١٧٥-١٧٧

(ب) من تاريخ الفرق

قد يكون لنشأة الفرق أسباب غير معرفة الحق ، لكن بعد استقرار الفرق وشيوعها وجد لها دعاة يدافعون عنها بحماس ، وينتصرون لها بشدة ويقيمون لها الدعائم الفكرية ..

ومن الممكن أن ينضوى ذلك فى محل الاجتهاد المقبول ، لولا أنه فى فترات تاريخية ساد التعصب البغيض ، وتحول الدفاع إلى إرهاب وإكراه سياسى أو تعسف وانحراف فكرى.. وهذه إطلالة سريعة على الموقفين.

— الإرهاب السياسى .

عندما تتبنى الدولة مذهبا وتتعصب له ، تتحول أجهزتها إلى مقامع من حديد تبطش بها على كل من يخالف المذهب وينتصر لفكر آخر ..

ونحن نرفض هذا الأسلوب مطلقا سواء كان المذهب أقرب إلى الحق أو أبعد ، لأن الحياة دول ، فإذا ساد اليوم مذهب فغداً سيسود مذهب آخر ، وكما تدين تدان ، وتتحول قضايا الفكر إلى ثأر تتوارثه الحكومات ..

لقد عذب العلماء وسجنوا وقتلوا من مختلف الفرق الإسلامية،وكانوا سنيين أو شيعة أو معتزلة أومتصوفة ، ولم تندثر آراؤهم ولم ينفض الناس من حولهم . .

ويكفى أن نذكر هؤلاء :

• رفض أبو حنيفة النعمان بن ثابت منصب القضاء فى عهد أبى جعفر المنصور فسجنه وجلده حتى توفى فى سجن بغداد سنة ١٥٠ هـ .

• امتحن الإمام مالك بن أنس فى عهد أبى جعفر المنصور فضرب بالسياط ومدت يده حتى انخلعت من كتفه لأنه كان يفتى بتحريم المتعة أو يحدث بحديث « ليس على مستكره يمين » فخشى الخليفة العباسى أن يخرج الناس عن بيعته و يبطلوا خلافته لأنه أخذها كرها .

• ابتلى الإمام أحمد بن حنبل بلاء شديداً على مدى ستة عشر عاماً فى عهد المأمون والمعتصم والواثق وصدرا من خلافة المتوكل حتى أصدر أمرا برفع المحنة عن الإمام سنة ٢٣٤ هـ .

وكان محور الخلاف : هل القرآن قديم أو مخلوق ؟

فمالت السلطة السياسية إلى مذهب المعتزلة القائل بأن القرآن مخلوق حادث ، وأصر أحمد بن حنبل على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

• توفى الإمام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية فى سجن دمشق سنة ٧٢٨ هـ متهما بالتجسيم والتشبيه والانتقاص من مقام النبى ﷺ ، وهو من هو دفاعا عن الدين والتزاما بالشرع وإحياء للسنة ..

• عاش كثير من العلماء دهرا من حياتهم وراء القضبان بتهم شتى سياسية أو دينية ، مثل :

— ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٥ هـ .

— ابن رشد الأندلسى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .

— ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

— ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

• أحرقت كتب كثيرة فى الميادين العامة بأمر السلطة السياسية ، وتمثل تلك الكتب مختلف الاتجاهات الفكرية ..

فأحرقت كتب التصوف والفلسفة فى عهد المرابطين وأحرقت كتب الفقه المالكى فى عهد الموحدين . .

وهكذا كان تدخل السلطة السياسية عنفا لامبرر له ، وظلما فاحشا ، ولا نظنه كان لوجه الله والعلم أيا كانت تلك السلطة ، والأمر من قبل ومن بعد هو الحفاظ على السلطة والتشبث بأركانها التى لاتدوم لأحد . .

إن من الخير أن تترك السلطة السياسية للناس حرية الاجتهاد بضوابطه الشرعية وأصوله الفكرية ، ثم إن هناك أمورا جامعة للفرق الإسلامية كلها ينبغى الحفاظ عليها وتأكيدها . .

والذين يتعصبون لإمام من الأئمة يقعون فى الغلو ، ويضفون على فكره عصمة لاتليق إلا بالأنبياء ، ويتناسون أن كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه . . وأن آراء أى إمام من الأئمة هى صواب يحتمل الخطأ أو خطأ يحتمل الصواب . .

* * *

الإرهاب الفكرى :

من البلاء أن يتعصب العلماء ويرفضوا الحوار وتغلب عليهم الأثرة المذهبية ، ويجهدوا أنفسهم فى الانتصار للمذهب بأجمعه دون تمحيص . .

وقد تجلى الصراع الفكرى فى تاريخ الفرق الإسلامية حينا من الدهر واتخذ أشكالا تبعث على الحسرة منها :

٢ — وضع الأحاديث :

اعتمد دعاة الفرق المتعصبون على وضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ تأييداً لقضاياهم ونصرة لآرائهم وتجريحا لخصومهم ، وقد فتح ذلك على الأمة باب فتنة وفساد كبير .

لقد وضعوا كماً من الأحاديث يفوق التصور بالإضافة إلى عـــدد لا يحصى من الأحاديث الضعيفة .

ولقد قام أئمة أعلام شمروا واجتهدوا وبحثوا ونقبوا لاستخراج الحديث المقبول والتمييز بينه وبين الحديث المرفوض ، وكان ميزانهم دقيقاً وعملهم جليلا واختيارهم شاقا .

فالإمام مالك بن أنس سجل فى الموطأ ثلاثمائة حديث فقط .

والإمام أحمد بن حنبل اختار فى المسند أربعين ألف حديث من سبعمائة وخمسين ألفا .

والإمام محمد بن إسماعيل البخارى خرج فى الجامع الصحيح أربعة آلاف حديث بحذف المكرر .. اصطفاها من مائة ألف حديث صحيح يحفظها ويحفظ بجوارها مائتى ألف حديث غير صحيح .

والإمام مسلم بن الحجاج القشيرى جمع فى المسند الصحيح نحو أربعة آلاف حديث انتقاها من ثلاثمائة ألف حديث مسموع[1] .

---

(١) هذه الأعـــداد بالآلاف المؤلفة مبالغ فيها والمراد بها الكثرة فقط أو الأحاديث المكررة الأسانيد والموقوفات والآثار المروية عن الصحابة والتابعين .

وقد حكى الإمام السيوطى فى شرحه على تقريب النواوى عند الكلام على الحديث الموضوع — جملة أقوال تبين مدى الفساد العريض الذى نكبت به الأمة من جراء التعصب الفكرى البغيض، منها :

• أن قوما ينسبون إلى الزهد وضعوا أحاديث فى فضائل القرآن سورة سورة، وعلل أحدهم ذلك بقوله :

إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحق فوضعت هذا الحديث حسبة .. !!

• أن العقيلى روى بسنده إلى حماد بن زيد قال :

وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث .

• أن ابن حبان روى بسنده إلى عبد الله بن يزيد المقرى ، أن رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته فجعل يقول :

انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه ، فإنا كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثا .. !!

• أن مقاتلا قال للمهدى (الخليفة العباسى) :

إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس .. !!

أى يخترع له أحاديث تمدحه وتجعله أحق بالخلافة من على وذريته .

• أنه قيل لمأمون بن أحمد الهروى : ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان ؟ ! فقال :

حدثنا أحمد بن عبد البر ، حدثنا عبد الله بن معدان الأزدى ، عن أنس مرفوعا : يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من إبليس .

ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى » .

● أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : إن قوماً يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه فقال :

حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، عن أنس مرفوعا :

من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له .

● أن الحافظ أبا الخطاب بن وجيه وضع حديثاً فى قصر صلاة المغرب يؤيد رأيه فى ذلك[1] .

* * *

٢ — الأحكام الجائرة :

انطلقت الألسن — تحت وطأة التعصب البغيض — إلى التكفير للفرق المخالفة ، واختراع أحكام لا مستند لها من دين الله عز وجل ، ولنقرأ هذه الفتوى على سبيل المثال :

قال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى أصحاب البدع :

« فإن كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرية أو الخطابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونة من الخوارج

---

(١) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ السيوطى ص ١٠٠ — ١٠٤ الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٧ هـ .

الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية فى قولها بأن شريعة الإسلام تنسخ فى آخر الزمان ، أو أباح ما نص القرآن على تحريمه ، أو حرم ما أباحه القرآن نصا لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الإسلام ، ولا كرامة له .

وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو الزيدية أو من بدع البخارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الأمـــة فى بعض الأحكام ، وهو جواز دفنه فى مقابر المسلمين ، وفى أن لا يمنع حظه من الفىء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفى أن لا يمنع من الصلاة فى المساجد ، وليس من الأمة فى أحكام سواها وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ، ولا يحل لسنى أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم .

وقد قال على بن طالب رضى الله عنه للخوارج :

علينا ثلاث : لا نبدؤكم بقتال . ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم من الفىء مادامت أيديكم على أيدينا ، والله أعلم »[1] .

لقد كان الشيخ مصيباً فى الشق الأول من الفتوى ، فإن ادعاء الألوهية لبعض البشر أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة — هو خروج على الإسلام وردة عن الدين ولا خلاف فى ذلك .

لكننا نرفض الفتوى فى شقها الثانى ، فإما أن يحكم الشيخ بالردة على المعتزلة والزيدية والجهمية ، ويلتقى هؤلاء مع السابقين ، وإما أن يكونوا مسلمين لهم ما لنا وعليهم ما علينا بلا تجزئة للحكم .. !!

---

(١) الفرق بين الفرق ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ص ١٣ ـ مكتبه محمد على صبيح وأولاده بالأزهر .

إن ما ذكره الشيخ فى قوله : فهو من الأمة فى بعض الأحكام ... وليس من الأمه فى أحكام سواها ، لا دليل عليه ولا مستند له ولاحظ له من الصواب .

فما قيمة أن يدفن فى مقابر المسلمين بلا صلاة عليه ؟!

وما قيمة أن يدخل المسجد ليذكر اسم الله بلا جواز للصلاة خلفه متى كان أهلا للإمامة ؟!

وماذا بقى له من الإسلام إذا كنا لا نزوجه ولا نتزوج منه ولا نأكل ذبيحته ؟

إن هذا الحكم الجائر جعل المعتزلى والزيدى أدنى منزلة من اليهودى والنصرانى فقد أحل الله لنا مناكحتهم وأكل ذبائحهم فقال :

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان[1] » .

وما نقله الشيخ عن الإمام على بن أبى طالب لا دليل فيه على فتوى الشيخ ، ولا ندرى كيف ساقها الشيخ فى أعقاب فتواه بحرمة الصلاة عليهم وخلفهم وحرمة ذبائحهم وحرمة مناكحتهم ؟!

بل إن مقالة الإمام علىّ أقرب إلى العدل والتسامح والإنصاف ..

هذا وقد قرأت فى بعض كتب الفقه أنه لا يجوز لشافعى أن يقتدى بحنفى مس ذكره لاعتقاده بطلان صلاته[2] .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٥

(٢) الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع للشيخ محمد الشربينى الخطيب. جـ١ ص ١٤٣ ط المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٩هـ .

بالله عليكم من الذى جعل هذا شافعيا وذاك حنفيا ؟ !

أهناك عهد من الله بذلك ؟ !

وطالما كان للحكم دليله ومستنده الشرعى فلماذا نرده ونرفضه ؟ !

وإذا كان علماء الأصول قد حكموا بتصويب جميع المجتهدين أو بتصويب واحد غير معين . فما قيمة اعتقاد الشافعى ببطلان صلاة الحنفى ؟ !

٣ — المقارنات غير المنصفة :

انبرى علماء ينتصرون لمذاهبهم ، ويخترعون الأدلة لأحكامهم ، وقامت دراسات فقهية وعقدية تسعى لنصرة المذهب دائما .

ورغم ما فيها من جهد علمى كبير إلا أن التعصب للمذهب غلب عليها وساد فيها مما يقدح فى قيمتها العلمية . .

ونحن نرى أن الحق بأجمعه لا يكن فى مذهب خاص ، ولا يجرى على لسان إمام واحد ، ولا ينحصر فى إتجاه بعينه . .

ورحم الله الإمام مالكا فقد رفض أن يجبر الناس على مذهبه أو يلزموا بكتابه . .

قال أبو نعيم فى الحلية عن مالك :

شاورنى هارون الرشيد فى أن يعلق الموطأ على الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ، فقلت : لا تفعل ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الفروع ، وتفرقوا فى البلدان ، وكل مصيب ، فقال : وفقك الله يا أبا عبد الله . .

وروى ابن سعد فى الطبقات عن مالك :

لما حج المنصور قال لى : عزمت على أن آمر بكتبك هذه التى وضعتها فتنسخ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوا إلى غيرها . .

فقلت : لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم الأقاويل ، وسمعوا الأحاديث ، ورووا الروايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، ودانو به فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم . . »[1] .

ومن كتب المقارنات الفقهية :

• كتاب « التحقيق فى أحاديث الخلاف » من تأليف العلامة أبى الفرج بن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ[2] .

ساق أبواب الفقه ومسائله ثم أتى برأى المذهب الحنبلى وأتبعه بآراء باقى المذاهب ، وقدم الأحاديث التى استدل بها هؤلاء وأولئك ، ورجح استدلال المذهب الحنبلى ورفض استدلال باقى المذاهب فى جميع المسائل .

• كتاب « المجموع شرح المهذب » من تأليف العلامة أبى زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ[3] .

---

(١) نقلا عن كتاب « أوجز المسالك إلى موطأ مالك ـ تأليف العلامة محمد زكريا الكاندهلوى ـ ص ٣٠ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م مطبعة السعادة بالقاهرة .

(٢) حققه مسعد عبد الحميد السعدنى وعلق عليه محمد فارس ـ ط دار العلمية ـ لبنان .

(٣) الناشر زكريا على يوسف ، مطبعة العاصمة ، شارع الفلكى بالقاهرة .

عرض أصول مذهب الشافعي ومسائله بأدلتها ورجح طريقتــه وأجاب عن أدلة المخالفين من مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.. وقال :

قد أشرت في هذه الفصول إلى طرف من حال الشافعي رضي الله عنه ، وبيان رجحان نفسه وطريقته ومذهبه » .

* كتاب « شرح فتح القدير » من تأليف العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام المتوفى سنة ٦٨١ هـ[١] .

شرح المسائل الفقهية على مذهب أبي حنيفة ورد أدلة المخالفين ، وانتصر لرأي أبي حنيفة . .

---

(١) طبع مع تكملته لقاضي زاده المتوفى سنة ٩٨٨ هـ مع بعض الشروح والحواشي بالمطبعة الميمنية على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخويه بمصر .

الباب الثاني

ضوابط الحوار

الفصل الأول :

الاجتهاد بين العقيدة والفقه

الفصل الثانى :

أصول الإسلام

الفصل الأول

الاجتهاد بين العقيدة والفقه

- تعريف الاجتهاد
- مؤهلات المجتهد
- حكم الخطأ فى الاجتهاد

[أ] رأى الإمام الغزالى

[ب] مذاهب المخالفين

[ح] رد الإمام الغزالى

[د] تعقيب وبيان

[ﻫ] رأى الإمام الشاطبى

الاجتهاد بين العقيدة والفقه

تعريف الاجتهاد :

الاجتهاد لغة : افتعال من الجهد، أى شدة الجهد وكثرته ، وتكلف مزيد من المشاق فى فعل من الأفعال .

فمن يحمل أثقالا من الحجارة تزن عشرات الكيلو جرامات يجتهد فى حملها أى يبذل جهداً كبيراً .

أما من يحمل حجراً صغيراً فلا يقال إنه اجتهد فى حمله ..

* * *

والاجتهاد — الذى نعنيه — هو :

بذل الجهد العقلى ، والتفكير المتواصل لتحقيق العلم بالأمور الشرعية سواء كانت عقدية أو عملية .

والاجتهاد — عند علماء أصول الفقه — مخصوص بأحكام الشريعة العملية وما ليس فيه دليل شرعى قاطع . .

وعرفه الإمام أبو حامد الغزالى فقال :(١) .

بذل المجتهد وسعه فى طلب العلم بأحكام الشريعة ، والاجتهاد التام أن يبذل الوسع فى الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد الطلب ..

وعرفه الآمدى فقال :(٢)

---

(١) المستصفى فى علوم الأصول للإمام أبى حامد الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ — تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافى ص ٣٤٢ ط دار الكتب العلمية — لبنان .

٢ — شرح مختصر الروضة للإمام نجم الدين الطوفى المتوفى ٧١٦ هـ تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركى جـ٣ ص ٥٧٦ ط مؤسسة الرسالة .

هو استفراغ الوسع فى طلب الظن بشىء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه ..

مؤهلات المجتهد :

المجتهد يحتاج إلى مؤهلات تساعده فى اكتساب الحكم والوصول إلى الحق ، وهذه المؤهلات — فى الإطار الإســـلامى — يتقدمها العلم بالكتاب العزيز محكمه ومتشابهه ، وأسباب نزوله وتفسير آياته ، ووجوه إعجازه ، وأنواع قراءاته ..

ويلى هذا معرفة السنة النبوية المطهرة دراية ورواية ، والاسترشاد بآثار السلف الصالح فى فهم النصوص الشرعية ..

ويكون لدى المجتهـد الحس اللغوى بحيث يدرك الخطاب العـربى فى حقيقته ومجازه ، ونحوه وصرفه ..

وينطلق ذلك كله من ملـكة عقلية ، لها جودة استنباط ، وبصيرة إدراك ، وخبرة تاريخ وحيـــاة .. ويحاط ذلك كله بسياج من التقوى والخلق الحميد ..

وهذه المؤهلات هى تفسير قوله تعالى « قل هـذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين »[1] .

فالبصيرة لا تكون إلا بعلم وعمل ..

وترك هذا العلم والعمـل هو ما أنكره الله على المخالفين والمجادلين المعاندين ، فى قوله تعالى : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق »[2] .

---

(١) سورة يوسف — الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الحج — الآية ٨ ، ٩ .

قال الإمام الرازى[١] :

« المراد بالعلم العلم الضرورى ، وبالهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدى إلى المعرفة ، وبالكتاب المنير الوحى .

والمعنى أنه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية ، وهو كقوله — ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم[٢] .وقوله .. « ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين »[٣] ، اه .

وهذا الانحراف عن وسائل المعرفة الصحيحة ومناهج الاستدلال هو سبيل الشيطان المتمرد على سنن الله الكونية والشرعية ، قال الله تعالى « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير[٤] .

• • •

حكم الخطأ فى الاجتهاد :

فرق الفقهاء بين الاجتهاد فى العقديات والأصول من جهة ، والاجتهاد فى العمليات والفروع من جهة أخرى ..

فرفعوا الإثم أو الخطأ عن المجتهـد فى العمليات والفروع ، وقال الآمدى : « إذا كانت المسألة الفقهية ظنية ، فإن كان فيها نص ، وقصر المجتهد فى طلبه فهو مخطئ آثم .

---

(١) التفسير الكبير جـ ٢٣ ص ١٢ ط دار الفكر .
(٢) سورة الحج — الآية ٧١
(٣) سورة الأحقاف — الآية ٤ .
(٤) سورة الحج — الآية ٣ ، ٤ .

وإن لم يكن فيها نص، أو كان فيها نص ولم يقصر فى طلبه، فقد قال القاضى أبو بكر، وأبو الهذيل، والجبائى وابنه، إن كل مجتهد فيها مصيب، وإن حكم الله تعالى فيها ما أدى إليه ظن المجتهد .. وقال ابن فورك والأستاذ أبو اسحق والإسفراييني : إن المصيب فيها واحد وله أجر واحد.

ونقل عن الشافعى وأبى حنيفة وأحمد والأشعرى قولان :

التخطئة والتصويب .

والمختار إنما هو تصويب الواحد وأنه غير معين »[1] .

وأثبت الفقهاء الإثم والخطأ للمجتهد فى العقديات والأصول إذا جانب الحق ولم يصل إلى الصواب .

(أ) رأى الإمام الغزالى :

قال الغزالى فى المستصفى [2] :

« النظريات تنقسم إلى ظنية وقطعية ..

فلا إثم فى الظنيات، إذ لا خطأ فيها ..

والمخطىء فى القطعيات آثم ..

والقطعيات ثلاثة أقسام : كلامية وأصولية وفقهية ..

أما الكلامية فنعنى بها العقليات المحضة، والحق فيها واحد، ومن أخطأ الحق فيها فهو آثم، ويدخل فيه حدوث العالم، وإثبات المحدث وصفاته

---

(١) شرح مختصر الروضة جـ ٣ ص ٦٠٣ .

(٢) المستصفى فى علم الوصول — تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافى ص ٣٤٨ ط دار الكتب العلمية — لبنان .

الواجبة والجائزة والمستحيلة ، وبعثة الرسل وتصديقهم بالمعجزات،وجواز الرؤية ، وخلق الأعمال ، وإرادة الكائنات ، وجميع ما الكلام فيه مع المعتزلة والخوارج والروافض والمبتدعة ..

وحد المسائل الكلامية المحضة مايصح للناظر درك حقيقته بنظر العقل قبل ورود الشرع ..

فهذه المسائل الحق فيها واحد ، ومن أخطأه فهو آثم ، فإن أخطأ فيما يرجع إلى الإيمان بالله ورسوله فهو كافر ..

وإن أخطأ فيما لا يمنعه من معرفه الله عز وجل ومعرفه رسوله ، كما في مسألة الرؤية وخلق الأعمال وإرادة الكائنات وأمثالها فهو آثم من حيث عدل عن الحق وضل،ومخطئ من حيث أخطأ الحق المتيقن ،ومبتدع من حيث قال قولا مخالفاً للمشهور بين السلف ولا يلزم الكفر ..

وأما الأصولية فنعنى بها كون الإجماع حجة ، وكون القياس حجة ، وكون خبر الواحد حجة ... فإن هذه المسائل أدلتها قطعية والمخالف فيها آثم مخطئ ..

وأما الفقهية فالقطعية منها وجوب الصلاة الخمس والزكاة والحج والصوم وتحريم الزنا والقتل والسرقة والشرب وكل ما علم قطعاً من دين الله فالحق فيها واحد وهو المعلوم ، والمخالف فيها آثم ..

ثم ينظر فإن أنكر ما علم ضرورة من مقصود الشارع لإنكار تحريم الخمر والسرقة ووجوب الصلاة والصوم فهو كافر ، لأن هذا الإنكار لا يصدر إلا عن مكذب بالشرع .

وإن علم قطعاً بطريق النظر لا بالضرورة ككون الإجماع حجة ، وكون القياس وخبر الواحد حجة وكذلك الفقهيات المعلومة بالإجماع فهى قطعية ، فمنكرها ليس بكافر لكنه آثم مخطئ .

(ب) مذاهب المخالفين :

وكان الإمام الغزالى أمينا فى عرض مذاهب المخالفين ، فساق ثلاثة مذاهب فى حكم الاجتهاد فى الأصول هى :

١ — ذهب الجاحظ إلى أن مخالف ملة الإسلام من اليهود والنصارى والدهرية إن كان معاندا على خلاف اعتقاده فهو آثم .

وإن نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم .

وإن لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو أيضا معذور .

وإنما الآثم المعذب هو المعاند فقط ، لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، وهؤلاء قد عجزوا عن درك الحق ، ولزموا عقائدهم خوفا من الله تعالى إذ استد[1] عليهم طريق المعرفة .

٢ — ذهب عبد الله بن الحسن العنبرى إلى أن كل مجتهد مصيب فى العقليات كما فى الفروع .

٣ — ذهب بشر المريسى إلى أن الإثم غير محطوط عن المجتهدين فى الفروع بل فيها حق معين ، وعليه دليل قاطع ، فمن أخطأ فهو آثم كما فى العقليات لكن المخطىء قد يكفر كما فى أصل الإلهية والنبوة ، وقد يفسق كما فى مسألة الرؤية وخلق القرآن ونظائرها ، وقد يقتصر على مجرد التأثيم كما فى الفقهيات .

---

(١) أى صار مسدوداً .

(ج) رد الغزالى :

وقد رد الإمام الغزالى هذه المذاهب الثلاثة وانتصر للتفرقة بين حكم الأصول وحكم الفروع ، وقال ردا على الجاحظ :

« فإنا كما نعرف أن النبي ﷺ أمر بالصلاة والزكاة ضرورة ، فيعلم أيضا ضرورة أنه أمر اليهود والنصارى بالإيمان به واتباعه ، وذمهم على إصرارهم على عقائدهم ، ولذلك قاتل جميعهم .. ويعلم قطعا أن المعاند العارف مما يقل ، وإنما الأكثر المقلدة الذين اعتقدوا دين آبائهم تقليدا ولم يعرفوا معجزة الرسول عليه السلام وصدقه .

والآيات الدالة فى القرآن على هذا لا تحصى ، كقوله تعالى :

« ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »[1] .

« وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم »[2] .

« إن هم إلا يظنون »[3] .

« ويحسبون أنهم على شيء »[4] .

« فى قلوبهم مرض »[5] أى شك .

وعلى الجملة ذم الله تعالى والرسول عليه السلام المكذبين من الكفار مما لا ينحصر فى الكتاب والسنة .

---

(١) سورة ص : الآية ٢٧
(٢) « فصلت : الآية ٢٣
(٣) « البقرة الآية ٧٨
(٤) « المجادلة : الآية ١٨
(٥) « البقرة : الآية ١٠

وأما قوله : كيف يكلفهم ما لا يطيقون ؟ قلنا : نعلم ضرورة أنه كلفهم ، أما أنهم يطيقون أو لا يطيقون فلننظر فيه ، بل نبه الله تعالى على أنه أقدرهم عليه بما رزقهم من العقل ونصب من الأدلة وبعث من الرسل المؤيدين بالمعجزات ، الذين نبهوا العقول وحركوا دواعي النظر حتى لم يبق على الله لأحد حجة بعد الرسل .

(د) تعقيب وبيان :

ونحن لا نظن أن هذا الرد من الإمام الغزالي يقطع المسألة ويصل إلى يقين ، ونعقب بما يلي :

١ — إن الرسول ﷺ لم يقتل كل يهودي ونصراني ولم يقاتلهم جميعا ، بل قاتل وقتل من قاتله وقتل أصحابه ، وكثيرا ما جادل الرسول اليهود والنصارى ، وسجل القرآن المجيد أنماطا متعددة من هذا الجدل ، ويكفي أن نقرأ قول الله تعالى :

« فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن »[١] .

« فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »[٢] .

« يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون »[٣] .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم »[٤]

(١ ، ٢ ، ٣) سورة آل عمران : الآيات ٢٠ ، ٦١ ، ٦٥

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

٢ — إن التعبير بالظن فى مثل قوله تعالى « ذلك ظن الذين كفروا ». لا يعنى أن الكافرين جميعا فى شك من عقيدتهم ثم عذبهم الله عليها بل إن هذا التعبير القرآنى له دلالته اللغوية العميقة ، فعقيدة الكفر لا دليل عليها ولا برهان يساندها ، فهم فى الواقع يكادون يشكون .

وقد جاء الظن بمعنى العلم واليقين فى جانب المؤمنين ، كما فى قوله تعالى « الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون »[١] .

فقد جاء هذا الوصف مدحا للخاشعين المستعينين بالصبر والصلاة فى الآية السابقة لهذا الوصف « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » .

فالتعبير بالظن قد يعنى اليقين كفرا كان أو إيمانا .

٣ — إن ذم الكفر والكافرين مسألة لا جدال فيها ، فالكفر ظلمات بعضها فوق بعض ، والكافرون فى ضلال بعيد .

والمسألة المطروحة ليست تجويز الكفر أو مدح الكافرين ، وإنما هى عقيدة شخص اجتهد فيها وخالف الحق ، هل تستوى مع عقيدة شخص آخر قبل الكفر تقليدا أو ظل على كفره عنادا ؟ !

هذا هو بيت القصيد وهو محل البحث .

ثم إن الحكم بالكفر هنا مراد به حكم الله فى الآخرة ، والله يفعل ما يشاء ويحكم لا معقب لحكمه ، ولا يظلم ربك أحدا ، وهو سبحانه يعلم سرائر النفس وخفايا الصدور .. قال تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما »[٢] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٦
(٢) « النساء : الآية ٤٥

أما حكمنا — نحن المسلمين — على شخص بالإيمان أو الكفر فهو مرتبط بالإقرار بعقائد الدين وأركانه، فمن أقر فهو من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم، ومن رفض فهو الكافر يعامل بمقتضى ما ظهر منه .. والكافر حينئذ أحد رجلين: رجل ألقى إلينا السلم فله ذمة الله ورسوله والمؤمنين، ورجل حمل علينا السلاح فيجب مقاومته ورد العدوان .

٤ — وقد أحس الغزالى بأنه رده ليس برهانياً فأتبعه بقوله :

نعلم ضرورة أنه (الله تعالى) كلفهم، أما أنهم يطيقون أو لا يطيقون، فلننظر فيه :

بل نبه الله تعالى على أنه أقدرهم عليه بما رزقهم من العقل، ونصب من الأدلة، وبعث من الرسل المؤيدين بالمعجزات، الذين نبهوا العقول، وحركوا دواعى النظر حتى لم يبق على الله لأحد حجة بعد الرسل».

وهذا القول هو مفتاح القضية وجواب المسألة، ولا مفر منه، فالإنسان لديه العقل؛ وأمامه آيات الأنفس والآفاق، وبين يديه معجزات الأنبياء وبينات الهدى، فمن أعرض وأبى، وآثر التقليد، وصد عن سبيل الله فهو الكافر المعاند.

وحيث يفقد العقل، أو حيث لا تصل الدعوة على وجهها الصحيح فلا تكليف شرعا .. قال تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»[1]

٥ — إن استقراء آيات القرآن المجيد، التى تتعلق بالكافرين وجزائهم — تؤكد أنهم فريقان لا ثالث لهما .

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥

- فريق الكبراء الذين آثروا متاع الحياة الدنيا ، وسلطان الملك ، وشهوة الرئاسة ، ورفضوا الإذعان للحق حسدا وبغيا .

وهؤلاء هم الملوك والسادة والأحبار والرهبان .

- فريق الضعفاء الذين انساقوا وراء كبرائهم ، وأطفأوا نور عقولهم ، واستمرأوا التقليد الأعمى ، ولم ينظروا فى دلائل الحق .

وهؤلاء هم العبيد والأتباع .

فكلا الفريقين جمعهم الله فى الجحيم وصب عليهم العذاب صبا .

ولنقرأ على سبيل المثال :

* قوله تعالى « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار »[1] .

لقد اجتمع الفريقان فى الجحيم وتقطعت الروابط التى كانت بينهم فى الدنيا وزالت عنهم كل أسباب النجاة والنصرة ، ولم يعد أحد يملك لأحد شيئا ، وحلت بالجميع حسرة لا تزول ... هذا بكبريائه وذاك بتقليده .

* وقوله تعالى « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم إلى بعضهم القول .

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٦ ، ١٦٧ .

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ ! بل كنتم مجرمين .

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا .

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون »[1] .

إن هذا الحوار فى الجحيم جاء بعد فوات الأوان وفقد الأمل ، ولذا أخفى الجميع ندمهم وامتلأت قلوبهم حسرة وكمدا .

لقد تلاوموا فيما بينهم ، وقال الضعفاء إن المستكبرين خدعوهم عن الحق بوسائل الإغراء المتعددة التى لوحوا بها ليلا ونهارا .

ورد الكبراء بأن الضعفاء فرطوا فى عقولهم وأجرموا فى حق أنفسهم ، وانساقوا وراء الإغراء ولم يفكروا التفكير السوى .

• وقوله تعالى « وإذ يتحاجون فى النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟ !

قال الذين استكبروا : إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد »[2] .

وهذه هى النهاية المحتومة .

وهذا هو العقاب العدل .

فلا أحد يتحمل وزر الآخر ، لأن الدلائل قد وضعت أمام الجميع بالسوية ، وليست هناك صوارف فطرية بل كل ما فى الإنسان وحوله يدعوه إلى العزيز الغفار .

---

(١) سورة سبأ الآية ٣١ : ٣٣

(٢) سورة غافر الآية ٤٧ ، ٤٨

فالسماء ومابناها ، والأرض وما طحاها ، والنفس وما سواها ، والكواكب وماأجراها . والنباتات وما أخرجها ، والأنعام وما خلقها ، والبحار وما ملأها ، وكل شيء في الوجود آية على أن الله هو الحق . .

وقام الأنبياء في كل زمان ومكان بتقديم الحجة وتفصيل البرهان ، لكن المستكبرين أصروا إصرارا على رفض الحق ، وتابعهم المستضعفون تقليدا ، ولكي ندرك مدى العناد والاستكبار نقرأ قوله تعالى ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم »[1] .

فهذا منتهى الاستخفاف بالعقل ، والامتهان للحق والاستهزاء بالبرهان ، إن مقتضى أن يكون هذا هو الحق أن يؤمنوا به ويخضعوا له ، لا أن يطلبوا عذابا يستأصلهم ، وسخطا يحيق بهم .

لقد أثبت القرآن أن عبادة الأصنام لم تكن اختيارا عقليا ، ولا ناشئة عن اجتهاد فكري ، وإنما ساق إليها التقليد الأعمى ، ودفع إليها التعصب البغيض ، قال تعالى : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »[2] .

ولهذا سجل أهل الجحيم على أنفسهم وبأنفسهم أوصاف الغفلة والغباء ، وقالوا :

لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير !!

فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير »[3] .

* * *

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٣٢

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٧٠

(٣) سورة الملك ـ الآية ١٠ : ١١

(هـ) رأى الإمام الطوفى :

جاء الإمام نجم الدين الطوفى بعد الإمام أبى حامد الغزالى بقرنين من الزمان[1] وألف كتاب « شرح مختصر الروضة » فاقتبس عبارة الغزالى فى عرض المذاهب وردها ثم توسع فى البيان ، فساق ما يلزم على مذهب الجاحظ فقال :

« قوله « ويلزمه » هذا إلزام ، ألزم الناس الجاحظ به على مقالته ، وهو أن يلزمه « رفع الإثم » والوعيد « عن » كل كافر من « منكرى الصانع والبعث والنبوات ، واليهود والنصارى ، وعبدة الأوثان الذين قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »[2] لأن اجتهادهم هو الذى « أداهم إلى ذلك » .

ثم اعتذر الإمام الطوفى للجاحظ عن هذا الإلزام فقال :

قوله « وله منع أنهم استفرغوا الوسع فى طلب الحق » هذا الاعتذار للجاحظ عن هذا الإلزام .

وتقريره : أن للجاحظ أن يمنع أن هؤلاء الكفار « استفرغوا الوسع فى طلب الحق » أى لا نسلم أنهم بذلوا المجهود المعتبر كمثلهم فى مثل مطلوبهم فكانوا مفرطين مقصرين ، فكان « إثمهم على ترك الجد » والاجتهاد الواجب عليهم ، لا على مجرد الخطأ ، بل منهم من عاند مع اتضاح الحق له كما أخبر الله عز وجل عن أهل الكتاب بقوله تعالى « وإن الذين أوتوا

---

(١) توفى الإمام الطوفى عام ٧١٦ هـ ، وتوفى الإمام الغزالى عام ٥٠٥ هـ .

(٢) سورة الزمر الآية ٣

الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم »[1] وقوله عز وجل « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[2] .

فالكفار — إذن — طائفتان : معاند ومقصر فى الاجتهاد ، فعوقبوا لعنادهم و تقصيرهم ، ونحن إنما نعذر من اجتهد غاية وسعه فلم يدرك ، وخلا عن العناد ، فظهر الفرق .

وقد علق الإمام الطوفى تعليقا قويا ، وبين رأيه بيانا دقيقا فقال : ومنذ خطر لى هذا الاعتذار عن الجاحظ كان يغلب على ظنى قوته ..

وإلى الآن والجمهور مصرون على الخلاف ، ولا يتمشى لهم حال إلا على القول بتكليف المحال لغيره . .

وتساعدهم ظواهر النصوص نحو قوله عز وجل « ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار »[3] ، فتوعدهم بالنار على كفرهم ولم يعذرهم بالخطأ . .

وعلى الآية اعتراضات لا تخفى . » !!

وبالجملة ، الجمهور على خلاف الجاحظ . .

والعقل مائل إلى مذهبه ..

وقد أشار الإمام الطوفى إلى نقطة مهمة فقال :

وقوله « أى الجاحظ » — على كل حال — مخالف للإجماع . .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤

(٢) « « « ١٤٦

(٣) سورة ص الآية ٢٧

ثم أجاب عن ذلك فقال :

إلا أن يمنع كونه « أى الإجماع » حجة ، كما هو مذهب النظام .

أو يمنع كونه قاطعاً مطلقا ، أو فى مثل هذه المسألة من القطعيات فلا يلزمه حكم إجماعهم .

أو يقول : إن الإجماع لا ينعقد بدون الواحد من المجتهدين على المشهور ، وهو وصاحبه العنبرى إثنان من مشاهيرهم فلا ينعقد الإجماع بدونهما .. »[1] .

وهذا منتهى الإنصاف من الإمام الطوفى وهو الحنبلى الأصولى البارع . .

---

(١) شرح مختصر الروضة — تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركى ج ٣ ص ٦١٠ : ٦١٢ ط مؤسسة الرسالة ١٤١٠ هـ .

الفصل الثاني

أصول الإسلام

- توحيد الله عز وجل
- النبوة والأنبياء
- الكتب المنزلة
- الملائكة
- اليوم الآخر
- ماعلم من الدين بالضرورة
- ضابط الأصول والفروع

أصول الإسلام

لخص الشيخ تاج الدين السبكي مسألة الاجتهاد فى العقيدة والأصول فقال : والمصيب فى العقليات واحد ، ونافى الإسلام مخطىء ، آثم ، كافر .

وقال الجاحظ والعنبرى : لايأثم المجتهد ، قيـــل مطلقا ، وقيل إن كان مسلما ، وقيل زاد العنبرى : كل مصيب »[١] .

وقد فصلنا ذلك فيما سبق ، وأيا مـا كان فإن السؤال الوارد حقا هو: ما الأصول التى يتعين — على رأى الجمهور — إصابتها واليقين بها والوصول إليها ؟ .

إن علم العقيدة الآن والكتب المـــدونة فيه تحشد قضايا كثيرة ، وتفريعات شتى ، ومسائل تملأ مجلدات.. فهل هذه كلها أصول يتحتم الوصول إلى حق واحد فيها ، وتعد مجاوزته كفراً ؟

إن الأصول الإسلامية التى آمن عليها الناس فى عهد النبوة الأول ، حددها القرآن المجيد فى قوله تعالى « آمن الرسول بمـا أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير »[٢] .

وبينهـا الرسول ﷺ فى حديث جبريل المشهور ، عنـــدما سأله: ما الإسلام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ،

---

(١) متن جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن أبى الحسن السبكى، المتوفى عام ٧٧١ هـ ضمن كتاب « مجموع مهمات المتون » ص ١٢٤ ، توزيع مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ط دار الكتب العلمية — لبنـان .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، فسأله جبريل : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره فسأله جبريل: ما الإحسان؟ فقال عليه الصلاة السلام: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فأصول الإسلام وقواعد الإيمان التى هى فيصل التفرقة بين المسلم وغير المسلم ، يمكن إيجازها على النحو التالى :

أولا : توحيد الله عز وجل :

فالجانب الإلهى فى الإسلام تحدده سورة قصيرة فى القرآن ، تسمى سورة الإخلاص ، هى قوله تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ،ولم يكن له كفوا أحد » وجاء فى أسباب النزول أن المشركين قالوا لرسول الله : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

فالله تعالى أحد أى كامل فى ذاته وصفاته وأفعاله ، كمالا مطلقا .

والله تعالى صمد أى مقصود فى الحوائج ، مستغن عن خلقه ، فهو الغنى الحميد .

والله تعالى لم يلد ولم يولد، أى أزلى أبدى ، متفرد فى جلاله وكماله وجماله .

والله تعالى لم يكن له كفوا أحد ، فلا يصل إلى علياء مجده مخلوق ، والكل عباده وعبيده ، خاضع لقهره وسلطانه .

هذا هو أصل الإسلام الأول .

لكن علماء العقيدة تجادلوا فى قضايا عدة ، وأقحموا عقولهم فى مجالات

لا يحيطون بها علما، فدارت بحوث حول حقيقة الصفات الإلهية هل هى عين الذات أو غيرها؟

ووقعت خلافات شديدة حول الصفات الخبرية كيف يفهمها المسلم؟ وتنازع العلماء حول رؤية المؤمنين لربهم جل جلاله فى الدنيا والآخرة، وحول كلام الله تعالى هل هو كلام نفسى أو حرف وصوت؟

وانقسم العلماء حول مفهوم الإيمان: هل هو التصديق فقط أو التصديق والعمل؟ وهل يزيد وينقص أولا؟

ولسنا نرى أن الخلاف أو الإجتهاد حول هذه القضايا يمثل أصلا من أصول الدين، يترتب عليه إيمان أو كفر.

ثانيا: النبوة والأنبياء:

امتن الله على عباده فبعث إليهم رسلا مبشرين ومنذرين، بدأوا بآدم عليه السلام وختموا بمحمد ﷺ، وقص القرآن علينا بعضهم وسكت عن الباقين

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث الله محمداً ﷺ إلى الإنس والجن عامة.

وأيد الله تعالى الأنبياء بالمعجزات الدالة على صدقهم.

هذا هو الأصل الثانى من أصول الإسلام.

لكن علماء العقيدة ألحقوا بهذا الأصل بحوثا متعددة حول:

— الفرق بين النبي والرسول.

— التفاضل بين الأنبياء والملائكة.

— عصمة الأنبياء قبل النبوة أو بعدها

— اجتهاد الرسول .

— الشفاعة والتوسل .

ولسنا نرى أن الخلاف أو الاجتهاد حول هذه المسائل يمس أصلا من أصول الدين .

ثالثا : الكتب المنزلة :

أنزل الله تعالى كتبا ضمنها منهجه لعباده كى تصلح حياتهم فى الدنيا ويسعدوا فى الآخرة ، وهذه الكتب هى صحف إبراهيم ، وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وقرآن محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

وجعل الله القرآن مهيمنا على ما سبقه من كتب بعد ما لحقها التحريف والتبديل ، والقرآن معجزة ، بلسان عربى مبين ، منقول تواترا جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا هو الأصل الثالث .

لكن علماء العقيدة تجادلوا حول :

— القرآن مخلوق أو غير مخلوق .

— وجه الإعجاز القرآنى .

— الناسخ والمنسوخ .

ولسنا نرى أن الجدل فى هذه الموضوعات يمس أصلا من الأصول .

رابعا : الملائكة :

خلق مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، نعرف أسماء بعضهم كجبريل وميكال ، ونعرف وظائف بعضهم كخزنة الجنة ، وخزنة النار ، وحملة العرش ، والكرام الكاتبين ، وملك الموت .. إلخ .

هذا أصل من أصول الإسلام .

لكننا نجد فى كتب العقيدة بحوثا مطولة حول :

— المفاضلة بين الملائكة والبشر .

— هاروت وماروت .

— منكر ونكير .

— موقف الملائكة يوم بدر .

وهذه المسائل لا ترقى إلى مستوى الأصل فى الدين ، ولا يترتب على الاجتهاد فيها تكفير .

خامساً : اليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر والجزاء الأخروى أصل أصيل من أصول الدين ، جاهد عليه جميع الأنبياء ، فالبعث والحشر والجزاء والجنة والنار فى صلب العقيدة الإسلامية .

لكن العلماء ناقشوا أمورا أخرى واختلفوا حولها مثل :

— البعث عن عدم أو تفريق .

— الإعادة للجواهر فقط أولها وللأعراض معا .

— الجنة والنار مخلوقتان الآن أو سيخلقان يوم القيامة .

— آدم سكن الجنة أو بستانا أرضيا .

— الوزن للأعمال أو لجزائها أو للعاملين .

— الميزان حقيقى أو كناية عن العدل المطلق .

— الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم أو الطريق إلى الجنة والنار .

ومسائل كثيرة يجوز حولها الخلاف والاجتهاد ولا تمثل أصلا من أصول الإيمان .

سادساً : ما علم من الدين بالضرورة :

هنـاك أمور فى الدين ظهرت أدلتها وتواتر النقل بهـا وشاعت بين الخاصة والعامة ولا أحد يجهل حكمها، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، وكحرمة الزنا والربا والسرقة والقتل، وأصبح العلم بهـا أشبه بالبدهيات، فهى تعد أصلا من أصول الإيمـان يكفر منكرها .

لـكن العلماء تعددت مذاهبهم حول تفصيلات كثيرة فى هذا الأصل ونشأت اجتهادات عرفت بالمذاهب الفقهية، وإجماع العلماء عـلى أن الخلافات الفقهية هى فى الفروع ولا تتصل بالعقيدة .

وبعد ـ فهذه المسائل التى أخرجناها عن دائرة الأصول ـ لسنا ننكرها فالصواب فيها واضح، واليقين بهـا ميسور، ومع ذلك فنحن ندع للمجتهدين حق الاجتهاد ونفتح لهم بـاب الحوار، ونرفض ما كان رأيا أو ظناً، أو اتجاها مبنيا على هوى، أو تعسفا وتكلفا فى فهم الدليل .

ضابط الأصول والفروع

فيصل التفرقة بين الأصول والفروع فى مجال علم العقيدة — مبنى على قواعد، وتحكمه ضوابط هى :

١ — ما كان قطعى الثبوت، قطعى الدلالة — فهو أصل من أصول الإسلام، بأن يكون متواترا تواترا حقيقيا، أجمع المسلمون على دلالته اللفظية، فالله واحد، ومحمد رسول الله، والقرآن حق، والنبيون حق، والساعه حق، والصلاة واجبة، والربا حرام ..إلخ — هذه أصول ثبتت بالقرآن المجيد وهو قطعى الثبوت، وأجمع العلماء على دلالتها اللفظية فكانت أصلا .

٢ — ما فقد القطع فى ثبوته أو دلالته فليس أصلا يترتب عليه إيمان أو كفر، وذلك بأن يكون :

(أ) قطعى الثبوت، ظنى الدلالة .

[ب] ظنى الثبوت، قطعى الدلالة .

[حـ] ظنى الثبوت، ظنى الدلالة .

فطالما دخل الظن فى أحد طرفى الثبوت أو الدلالة لم يعد أصلا من أصول الإيمان ..

فالصفات الخبرية فى مثل قوله تعالى «يد الله فوق أيديهم» جاءت فى نص قرآنى لم ينكره أحد من المسلمين، لكن دلالة اللفظ محل اجتهاد لدى العلماء، فلم يكن رأى أحدهم أصلا من الأصول ..

وأحاديث الآحاد التى تحمل أخبارا عن عذاب القبر ونعيمه، والحوض، وبعض مواقف القيامة، ونزول عيسى فى آخر الزمان .. الخ ليست أصلا من أصول الدين لأنها ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة ..

والذين يتعصبون ويجعلون أحاديث الآحاد حجة فى العقائد يتناسون أنه لاعصمة بعد الأنبياء، وأن صدق الواحد والاثنين ظن محتمل ، وهو إن أخذ به فى العمليات فالتوقف بشأنه فى العقائد أحوط للدين ، لأن أمور الحياة وقضايا الناس يكفى فيها الظن الغالب ، أما أمور العقائد فلابد فيها من الحق الواضح، وقد وقع النصارى فى الكفر بسبب الظن وقبوله خبر الآحاد ، قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا[١] » .

وما يستدل به البعض[٢] من أن الصحابة رضى الله عنهم قبلوا أخبار الآحاد ، كخبر ابن عمر رضى الله عنهما « أن الرسول ﷺ نهى عن بيع الولاء وهبته ، وخبر أبى هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » ، وخبر عائشة : يحرم من الرضاع مايحرم من النسب» وخبر الذى أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة فاستداروا إليها .

فهذه كلها أخبار فى الأحكام والمعاملات وليست فى العقائد . .

وما يقال أيضاً من أن الرسول ﷺ أرسل رسله آحادا ، وأرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء مع الآحاد ، لا ينهض دليلا على أن خبر الآحاد حجة قاطعة فى العقائد . .

لأن المبعوثين الشخصيين للرسول ﷺ ورسائله إلى ملوك العالم

---

(١) سورة النساء ـ الآية ١٧١

(٢) كشارح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ ط . المكتب الإسلامى سنة ١٣٩٩ هـ .

احتفت بها قرائن ، وشهدت لها ظواهر ، وشاع الخبر عن بعثة النبي العربى الهاشمى فى أطراف الجزيرة العربية . .

ولم يكن الخبر على لسان المبعوثين حجة فى نفسه بل كان باعثا على البحث عن الحجة والتعرف على الدليل، فالعاقل مطالب بالبحث عن عقيدته كما يبحث عن طعامه وشرابه ، ولهذا حاول هرقل عظيم الروم بعدما تلقى الرسالة النبوية أن يستوثق ، فجمع تجار مكة الذين قدموا الشام ، وأخذ يسألهم و يناقشهم ويستبين شأن هذا النبي الجديد ..

وقد اعترف ابن أبى العز شارح العقيدة الطحاوية بأن خبر الواحد يفيد نوع ظن وما يستقر فى القلب من مجموع أمور قد لايستقل بعضها به فقال :

وبما ينبغى أن يعرف: أن ما يحصل فى القلب بمجموع أمور قد لا يستقل بعضها به ، بل ما يحصل للإنسان من شبع وری وشكر وفرح وغم — فأمور مجتمعة لايحصل ببعضها ، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر ..

وكذلك العلم بخبر من الأخبار ، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن ، ثم الآخر يقويه ، إلى أن ينتهى إلى العلم ، حتى يتزايد ويقوى ، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب ونحو ذلك »[1] .

وإذا كان التشريع الإسلامى يرفض أن يقيم حدوده ويحكم بين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٤ ، ويبدو أن الشيخ نسى مقالته هذه عندما دافع بشدة عن خبر الآحاد بعد أكثر من مائتى صفحة من شرحه واتهم الفرق الأخرى بأنهم قدحوا فى دلالة القرآن على الصفات ، وأفسدوا على القلوب معرفة الرب من جهة الرسول، وأحالوا الناس إلى قضايا وهمية سموها قواطع عقلية ص ٢٩٨

الناس فى معاملاتهم بناء على شهادة الواحد ، وجعل نصاب الشهادة رجلين أو رجلا وامرأتين ، وقد تصل الشهادة إلى أربعة كما فى حد الزنا .. فكيف تتثبت فى معاملات الناس ونحتاط فيها ثم ندع أمر العقائد بلا تمحيص ولا تدقيق .. ؟!

إننا لانقطع برفض خبر الآحاد ، وإنما نقول إنه يفيد ظنا ولا يفيد يقينا كاملا ، والأحوط فى الدين أن نميل إلى هذا الظن ونأخذ به مالم يعارض أصلا منقولا أو معقولا .

وأنه لا يترتب على قبول هذا الظن تكفير للطرف الآخر فى إطار منهج البحث وقواعد الاستدلال ..

وقد تعلمنا فى مصطلح الحديث أنه إذا قيل : هذا حديث صحيح ، فمعناه ما اتصل إسناده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة ، وقبلناه عملا بظاهر الإسناد ، لا أنه مقطوع بصدوره عن النبى ﷺ لجواز الخطأ والنسيان على الثقة[1] ..

وقد حكى الإمام السرخسى أقوال العلماء فى قبول خبر الواحد والعمل به فقال : « قال فقهاء الأمصار — رحمهم الله — :

خبر الواحد العدل حجة للعمل به فى أمر الدين ، ولا يثبت به علم اليقين .

وقال بعض من لا يعتد بقوله :

خبر الواحد لا يكون حجة فى الدين أصلا .

وقال بعض أهل الحديث :

---

(١) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ السيوطى ص١٨ ط الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية ١٣٠٧ ه‍ .

يثبت بخبر الواحدعلم اليقين ، منهم من اعتبر فيه عدد الشهادة ليكون حجة ، ومنهم من اعتبر أقصى عدد الشهادة وهو الأربعة »[1] .

ومن المعلوم فى قواعد التفكير أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ..

وبعد ـ فتى استطعنا أن نفرق بين الأصول والفروع تفريقا منصفا ـ أدركنا أن الفرق الإسلامية تلتقى على ثوابت العقيدة وأصول الدين ، ولم يحدث خلاف أو اجتهاد حولها ، اللهم إلا الفرق الغالية من الشيعة والخوارج ، وهى فرق خارجة عن الإسلام بشهادة المنصفين من الشيعة أنفسهم والخوارج ذاتهم . .

وحين يتضح الفرق بين الأصول والفروع فى العقيدة تضيق شقة الخلاف بين المسلمين ، ويصبح الأمر ميسورا لجمع الكلمة ووحدة الصف..

إن العالم حولنا يسعى إلى التقارب والتلاقى على أوهى من بيت العنكبوت ، فالوحدة الأوربية هدف يتحقق للأوربيين رغم خلافاتهم التاريخية والعرقية والمذهبية واللغوية..

وتقام المؤتمرات للحوار بين الأديان ..

فما بالنا نحن المسلمين ، نرفض الحوار ، ونرضى بالفرقة ، ونتخذ ديننا شيعا ؟!

---

(١) أصول السرخسى — المتوفى عام ٤٩٠ هـ — تحقيق أبو الوفا الأفغانى ح١ ص ٣٢١ ط: دار الكتب العلمية لبنان .

إن المسلمين يتحلقون حول الكعبة المشرفة ، ويحملون القرآن المجيد في قلوبهم وعلى رءوسهم وبأيمانهم ، ويصدحون بالأذان مدويا خمس مرات في اليوم والليلة ، يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وينطقون ذلكم الأذان وتلكم الشهادة بلغة عربية فصحى ، يتعبدون الله بها في كتابه المعجز الخالد المحفوظ بعناية الله إلى يوم القيامة ..

فنحن ، المسلمين ، أهل التوحيد وأحق بالوحدة ..

الباب الثالث

قضايا الحوار

- التوحيد
- القضاء والقدر
- الإمامة
- الوعد والوعيد
- فقه العبادات والمعاملات
- الفكر الوافد
- التجديد الديني

تمهيد :

أسباب نشأة الفرق بين المسلمين لا تكاد تختلف عن أسباب نشأتها في أي دين أو ملة أو جنس ..

فنحن نرى أن الأسباب واحدة ، لكن جزئياتها وتفاصيل أحداثها هي التي تتخذ شكل المكان أو الزمان أو العقيدة ..

ففي كل الأحوال توجد أسباب داخلية وأسباب خارجية ..

وفي جميع الملل ينضوي أفراد لهم خيال الشعراء أو حكمة الفلاسفة أو سلوك الأوابين ..

وفي كافة الأديان هناك من ينح إلى التأويل والإكبار للعقل الإنساني، وهناك من يلتزم النص ويقف عند الظواهر ..

وفي سائر الأزمان وجد المنافقون والخائنون وأصحاب الهوى ..

وتربص بكل أمة أعداء من الخارج يسعون لاستئصال شأفتها ، والقضاء على مقوماتها ، والعبث بتراثها وقيمها ..

ومن هنا فلسنا نقف عند الأسباب في حد ذاتها ، وإنما نبحث عن القضايا التي تخص الأمة الإسلامية ، والتي دار حولها الافتراق ..

وهذه القضايا هي :

- التوحيد والصفات الإلهية ..
- القضاء والقدر والتكليف الإنساني ..
- الإمامة والخلافة ونظام الحكم ..
- وعد الله ووعيده وحكم مرتكب الكبيرة
- فقه العبادات والمعاملات ..
- الفكر الوافد ..
- التجديد الديني ..

التوحيد والصفات الإلهية

الإنسان بطبيعته يتساءل عن الوجود، ويبحث عن العلل والمعلولات، ويحاول أن يكتشف المجهول، ويضع علامات استفهام كبرى :

من أين هذا الوجود ؟

وإلى أين المصير ؟

وكيف وجد هذا الكون الفسيح ؟

وما الغاية منه ؟ ولم وجد ؟

وجاءت رسل الله، وقامت الفلسفات، واجتهد الناس قديماً وحديثاً، ولما تنقطع هذه التساؤلات، ولما يهدأ العقل الإنساني، وظل مجتمع البشر يتعايش فيه المؤمن والكافر، ويتواجد فيه صاحب الفضيلة وصاحب الرذيلة، ويتصارع فيه الفلاسفة والعلماء . .

• • •

تساؤلات القرآن :

وفي فجر الإسلام دارت تساؤلات عدة حول الألوهية والنبوة والبعث، وقال المشركون — كما حكى القرآن :

• « من يحيي العظام وهي رميم ؟ »[١] .

• « أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب »[٢] .

---

(١) سورة يس - الآية ٧٨

(٢) سورة ص - الآية ٥

• « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »[1] .

• « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر»[2] .

وذات يوم قالوا للرسول ﷺ : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد » .

وجاءت تساؤلات كثيرة من المسلمين واليهود والمشركين ، ساقها القرآن بأسلوب « يسألونك » ، تضمنت عقائد ونواميس وأخبارا وأحكاما .

فمن العقائد :

• « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[3] .

• « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا »[4] .

• « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها .. »[5] .

---

(١) سورة الزخرف — الآية ٣١ .
(٢) سورة الجاثية — الآية ٢٤ .
(٣) سورة الإسراء — الآية ٨٥ .
(٤) سورة طه — الآية ١٠٥ : ١٠٧ .
(٥) سورة النازعات — الآية ٤٢ : ٤٤ .

ومن النواميس :

• « يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج »[1].

ومن الأخبار :

• « ويسألونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا »[2]

ومن الأحكام :

• « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن »[3] .

حوار القرآن مع أهل الكتاب :

وأقام القرآن حوارا بين الرسول ﷺ وعلماء أهل الكتاب ، فى قضايا العقيدة المتصلة بالألوهية والرسالة .

فحول قضية التوحيد جاءت آيات كثيرة مثل :

« فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد »[4] .

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل »[5] .

---

(١) سورة البقرة — الآية ١٨٩ .
(٢) سورة الكهف — الآية ٨٣ .
(٣) سورة البقرة — الآية ٢٢٢ .
(٤) سورة آل عمران — الآية ٢٠ .
(٥) سورة المائدة — الآية ٧٧ .

وحول قضية عيسى عليه السلام جاء قوله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »(١) .

وحول قضية إبراهيم عليه السلام جاء قوله تعالى :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون »(٢) .

وساق القرآن مجموعة تساؤلات وردت بلفظ « سل ، واسأل » حملها الرسول ﷺ كى يوجهها لعلماء أهل الكتاب إلزاما لهم وحجة عليهم ، مثل قوله تعالى :

• « فإن كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »(٣) .

والمراد هنا تأكيد بشارات الأنبياء بسيدنا محمد ﷺ .

• « سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب »(٤) .

---

(١) سورة آل عمران — الآية ٥٩ : ٦١ .

(٢) سورة آل عمران — الآية ٦٥ .

(٣) سورة يونس — الآية ٩٤ .

(٤) سوره البقرة — الآية ٢١١ .

والمراد هنا تأكيد صدق القرآن فيما أخبر عن بني إسرائيل.

• «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون»[1].

والمراد هنا سؤال علماء أهل الكتاب، وتأكيد قضية التوحيد التي اتفق عليها رسل الله جميعاً.

تساؤلات السنة :

فإذا انتقلنا إلى ما سجلته كتب السنة النبوية وجدنا تساؤلات متعددة وقعت من الصحابة لرسول الله ﷺ، تتعلق بقضايا العقيدة الكبرى وبدء الخلق ونهاية الوجود وآفاق الملأ الأعلى، وعلى سبيل المثال فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال :

دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يابني تميم .

قالوا : قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) .

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم .

قالوا : قد قبلنا يا رسول الله .. جئنا نسألك عن هذا الأمر .

قال : كان الله ولم يكن شيء غيره .

---

(١) سورة الزخرف — الآية ٤٥ .

وكان عرشه على الماء ..

وكتب فى الذكر كل شىء . .

وخلق السموات والأرض . .

قال عمران : فنادى مناد ، ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هى يقطع دونها السراب ، فوالله لوددت أنى كنت تركتها » .

ففى هذا الحديث يقص عمران بن حصين مشهداً فى حضرة رسول الله ﷺ ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم اقبلوا البشرى أى هلموا أعلمكم عملا صالحا يصل بكم إلى الجنة ويحقق لكم السعادة الأبدية ، لكن القوم ظنوا البشرى مالا ومآكل ومشارب فطلبوا العطاء العاجل وألحوا فى سؤاله .

وفى هذه الأثناء دخل قوم آخرون جاءوا من أجل الهدف السامى ومعرفة الوجود الأهلى والاستقامة على الحق ... فبدأ الرسول ﷺ يشرح الحق ويبين بدء الخلق ويجيب على تساؤلات القوم . .

• • •

وأخرج البخارى بسنده عن الزهرى قال :

أخبرنى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شىء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى هذا ..

قال أنس : فأكثر الناس البكاء ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلونى ، فقام إليه رجل فقال : أين مدخلى يا رسول الله ؟

قال : النار ، فقام عبد الله بن حذافة فقال : من أبى يا رسول الله ؟

قال : أبوك حذافة . .

قال أنس : ثم أكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلونى . . سلونى . .

فبرك عمر على ركبته فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا .

فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ثم قال :

« والذى نفس محمد بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفا فى عرض هذا الحائط : وأنا أصلى ، فلم أر كاليوم فى الخير والشر » .

ومعنى هذا الحديث أن النبى ﷺ أخذ يحث الناس على التساؤل عما يعن لهم من أمور الدين وعقائد الإسلام وحقائق الوجود ، لكن البعض أخذ يسأل استهزاءاً أو تعجيزاً أو لهواً .

حتى سأل أحدهم عن مصيره فى الآخرة أفى الجنة أم النار ؟

وسأل أحدهم عن حقيقة نسبه إلى أبيه .

وهنا أدرك عمر بن الخطاب بفطرته ونقاء سريرته وصدق عقيدته أن الأمر بدأ يأخذ مسلكا غير طبيعى فجثا على ركبته وقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا .

• • •

تساؤلات الفرق :

فإذا كان هذا هو ما حدث فى فجر الإسلام ، والوحى يتنزل ، والنبى ﷺ بين ظهرانى أصحابه فهل تتوقف التساؤلات وينقطع الحوار على امتداد الزمن وتعاقب الأجيال مع استمرار أسبابه ودواعيه ؟ !

إن اختلاف الفرق الإسلامية حول قضية التوحيد والصفات الإلهية هو امتداد لفهم قضايا الوجود الكبرى والبحث عن الحقائق الأزلية . . .

لقد طرحت تساؤلات بين الفرق الإسلامية مثل :

- هل الوجود عين الموجود أولا ؟
- هل الصفات عين الذات أو زائدة عليها ؟
- هل تقوم الحوادث بذاته تعالى أولا ؟
- هل البقاء هو الوجود المستمر أو زائد على الوجود ؟
- هل كلام الله معنى نفسي أو حرف وصوت ؟
- هل الاسم عين المسمى أولا ؟
- هل لله صفات هي اليد والوجه والاستواء . . أولا ؟
- هل يجب على الله شيء ؟ وما معنى الوجوب على الله ؟
- هل تتعلق إرادة الله وقدرته بأفعال العباد التكليفية ؟

وتنازعت الفرق الإسلامية في جواب تلك التساؤلات التي افترضوها وابتدعوها . .

لقد أقحمت قضايا ليست من أصول الدين ، ولم يتطرق إليها الوحي ، ثم إن الجهد العقلي فيها ضامر يتجاوز مـــداه ، ويخوض فيما لا يجوز ، ويقيس الغائب على الشاهد ، ويهوى في متاهة فكرية لا عاصم لها ولا حدود فيها ، ويجادل بغير علم . .

ومن الخير للدين والعقل أن نحذر الخوض في هذه التساؤلات بتأكيد شهادة أن لا إله إلا الله وتقريرها على الوجه القرآني في الربوبية والألوهية والكمال المطلق والجلال الأعظم . .

« ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »[1] .

« ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحى القيوم »[2] .

« قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »[3] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٤

(٢) « طه : الآية ١١٠ ، ١١١

(٣) « الأنعام : الآية ٩١

القضاء والقدر

موقف المشركين :

من الأمور الشائكة التى تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً مسألة القضاء والقدر ، وحاول المشركون على عهد رسول الله ﷺ الاحتجاج بالقدر، ونزل قوله تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » (١) .

فهذه شبهة تشبث بها المشركون فى شركهم وتحريم ما حرموا من الطيبات بأن الله مطلع على ما هم فيه وهو قادر على تغييره بأن يلهمهم الايمان ويحول بينهم وبين الكفر ، ولما لم يغيره فهموا أن الله تعالى شاء ذلك منهم وأراده ورضى عنه .

ورد الله تعالى عليهم بأن هذه الشبهة قد ضل بها أقوام من قبل ، وهى حجة داحضة باطلة ، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم ، فهم فى زعمهم هذا واهمون وعلى اعتقاد فاسد .

وتكرر هذا المعنى فى قوله جل شأنه :

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من دونه من شىء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين »(٢) .

---

(١) سورة الأنعام — الايه ١٤٨

(٢) سورة النحل — الآية ٣٥

وجاء فى تفسير هذه الآية :

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء » أى من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا .

ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارهاً لما فعلناه لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكننا منه .

قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم « فهل على الرسل إلا البلاغ المبين » أى ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه آكد النهى ، وبعث فى كل أمة أى فى كل قرن وطائفة من الناس رسولا ، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه(١) اهـ .

وفى موقف آخر حكى القرآن مقالة المشركين فى رفضهم الإنفاق وإطعام الفقراء محتجين بالقضاء والقدر فقال : « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إن أنتم إلا فى ضلال مبين »(٢) .

والمعنى أنهم رفضوا الإنفاق بحجة أن الله تعالى يريد لهؤلاء الفقر ولا يجوز أن يغنيهم الناس ، ولو شاء الله لأغناهم .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٦٨

(٢) سورة يس — الآية ٤٧

ووصف القرآن هذا الزعم بأنه ضلال واضح بين .

موقف المنافقين :

وعقب غزوة أحد دار الجدل طويلا حول القضاء والقدر بين المسلمين والمنافقين ، وطرحت فيه اتجاهات متعددة سجلها القرآن المجيد في قوله تعالى :

« إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور »[1] .

ففي غزوة أحد ابتلي المؤمنون بلاءاً شديداً بسبب مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ فتركوا أماكنهم التي يحمون منها ظهور المسلمين ونزلوا يجمعون الغنائم بعد فرار المشركين وهزيمتهم . وبمجرد ترك الرماة لمواقعهم تنبه المشركون وكروا على المسلمين فقتلوا منهم سبعين شهيداً ، وتفرق المسلمون في الأرض هائمين لا يتلفتون إلى أحد من شدة الهول ...

وأخذ رسول الله ﷺ ينادي عليهم قائلا : إليّ عباد الله ، أنا رسول الله من كرّ فله الجنة .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٥٣ : ١٥٤

وترا كم على المسلمين غم على غم، ترا كم عليهم غم الهزيمة وغم إشاعة أن الرسول قتل .. أو غم ما أصابهم عند الفشل والتنازع وغم ما وقع عليهم من الهزيمة، أو غم ما فاتهم من الغنائم وغم ما أصابهم من القتل .. وأيا ما كان فإن الغموم تعاقبت عليهم ليصير ذلك زجرا لهم عن المعصية والمخالفة وتربية لنفوسهم ودافعاً لهـــم لتجاوز الواقع الأليم والنهوض ...

ثم بينت الآية أن الناس يوم أحد كانوا فريقين : فريقاً آمن واستقر الإيمان فى قلبه فهؤلاء آمنوا وجاءهم النعاس فى وقت ما ولم يشعروا بخوف ليقينهم بأن الله ناصر دينه .

والفريق الآخر أهمتهم أنفسهم ولم يكن لهم من هدف إلا الغنيمة فلما غشى القوم ما غشيهم نالهم الفزع الأكبر وظنوا بالله غير الحق ظن الجاهلية وحملوا رسول الله مسئولية قتل من قتل بناء على أنه ﷺ آثر الخروج من المدينة حتى وصل أحدا وكان رأيهم أن يظلوا بالمدينة مدافعين عنها لا يخرجون منها .

فمعنى قوله تعالى على لسان المنافقين « هل لنا من الأمر من شيء » أنه استفهام انكارى يعنى هل لنا من أمر يطاع ، ونظيره قوله تعالى « لو أطاعونا ما قتلوا » ، أو المعنى أين ما كان يعدنا به محمد من النصر والغلبة والقوة ؟ !

وللرد على هذا التساؤل بمعنييه جاء قوله تعالى : قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما قلوبكم والله عليم بذات الصدور .

فالذين توهموا أن خروجهم إلى أحد عجل لهم الموت ذكرهم القرآن

المجيد أن الحذر لا يدفع القدر ، وأن التدبير لا يقاوم التقدير ، وأن الذين قدر الله عليهم القتل لابد أن يقتلوا فى مصارعهم التى علمها الله أزلا .

والذين توهموا أن هزيمة أحد تعنى أن الله تخلى عن رسوله ولم يؤيده بنصره ذكرهم القرآن بأن الابتلاء قرين الإيمان وأنه ليس هناك جهاد بغير تضحيات ، وليس هناك معركة بغير شهداء ، وإنما هى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة . . كما قال تعالى :

« إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

وهكذا كانت غزوة أحد مثاراً للفكر والجدل حول مسألة الحرية الإنسانية أو القضاء والقدر . . وخاض فيها المسلمون والمنافقون وسجلها القرآن الكريم علامة على الطريق .

موقف الصحابة :

وجاءت روايات تفيد أن الصحابة — رضى الله عنهم — أفراداً وجماعات تكلموا فى أمر القضاء والقدر .

وعلى سبيل المثال فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده أن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : إن رسول الله — ﷺ — طرقه وفاطمة بنت النبى — ﷺ — ليلة فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يارسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا .

فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلىّ شيئاً ثم سمعته وهو يقول

يضرب بفخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شىء جدلا».

لقد حرص الرسول الكريم على إيقاظ ابنته وزوجها لصلاة الليل حتى يتعرضا لنفحات الله ويحصلا على الثواب الجزيل الذى أعده الله للمستغفرين بالأسحار.

واعتذر على بن أبي طالب رضى الله عنه بالقدر وقال: يارسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

وبمجرد أن سمع الرسول الكريم هــذا الاعتذار لم يراجع علياً بشىء وإنما خرج متعجبا وهو يتذكر الآية الكريمة: وكان الإنسان أكثر شىء جدلا»[1].

وفى فقه هذا الحديث قال الإمام ابن حجر:

أنه ليس للإمام أن يشدد فى النوافل حيث قنع — ﷺ — بقوله على — رضى الله عنه: أنفسنا بيد الله، لأنه كلام صحيح فى العذر عن النفل ولو كان فرضاً ما عذره.

وأما ضربه فخذه وقراءته الآية فدال على أنه ظن أنه أحرجهم فندم على انباههم.

وقال النووى: المختار أنه ضرب فخذه تعجباً من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بما اعتذر به والله أعلم»[2].

وعن عبدالله بن عمرو — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الكهف ـ الآية ٥٤

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٣ ص ١١

خرج على الصحابة وهم يتنازعون فى القدر ، هذا ينزع آية ، وهذا ينزع آية فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان فقال :

بهذا أمرتم — أو بهــذا وكلتم — أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟! ، انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه ومانهيتم عنه فاجتنبوه » رواه أحمد وابن ماجه .

وفى موقف آخر تساءل الصحابة مع رسول الله فى أمر القدر » وجاء فى صحيح مسلم أن على بن أبى طالب قال :

كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت[1] بمخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهــل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ :

فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .

وتعدد تساؤل الصحابة فى هذا الأمر ، فجاء سراقة بن مالك وقال

---

(١) المخصرة — بكسر الميم — ما أخذه الإنسان بيده واختصر من عصا صغيرة وعكاز صغير وغيرهما ، ونكس — بتخفيف الكاف وتشديدها — لغتان فصيحتان أى خفض رأسه . ونكت أى خط خطاً يسيراً مرة بعد مرة .

يارسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ، فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟

وقال رجل : يارسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم قال : ففيم يعمل العاملون ؟

وجاء رجلان من مزينة فقالا يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟

وكانت إجابة رسول الله ﷺ فى كل هذه الأحوال :

اعملوا فكل ميسر لما خلق له[1] .

ومع كل هذه التساؤلات والمناقشات لم يكن الموقف يمثل ظاهرة فكرية قلقة ولا اتجاها دينيا متحوبا ، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى والأمة مجتمعة على صفاء الفهم لكتاب الله وسنة رسوله . .

---

(١) راجع الروايات فى صحيح مسلم بشرح النووى ح ١٦ ص ١٨٩ : ٢٠٧

موقف الفرق :

إن قضية القدر فى مجملها ذات أفقين :

- أفق العلم الإلهى .
- أفق التكليف الإنسانى .

حرص البعض على الأفق الأول وغالى فيه حتى نسى صحة التكليف وحتمية المسئولية ، وجنح البعض إلى الأفق الثانى وركز عليه حتى غفل عن ضرورة إثبات الكمال المطلق لله عز وجل فى تصريف الكون والكائنات .

وتبلورت الاتجاهات الفكرية حول هذه المذاهب :

الجبرية — القدرية الأولى — المعتزلة — الأشاعرة .

ولا خلاف بين المسلمين قاطبة أن النواميس الكونية فى السماء والأرض كلها مخلوقة لله تعالى سبقت بها إرادته وعلمه . .

كذلك فإن الأفعال الاضطرارية للإنسان كنبض قلبه وحركة أمعائه وماقد يدهمه ويقع عليه بلا إرادة منه ولا قدرة معه — هى من تقدير الله وخلقه . .

ولا تكليف على الإنسان فى هذين النوعين ولا مسئولية عليه حيالهما ولا يمدح أو يذم بسببهما .

ومحل النزاع هو أفعال الإنسان الاختيارية والتى تنشأ عن إرادة من العبد وتصحبها قدرة منه عليها ، والتى هى الأمر والنهى فى التشريعات الإلهية ، هنا نشأ الخلاف ، واحتدم الجدل وتنازعت الفرق وتعددت . .

الإمامة والخلافة

وفاة الرسول :

بلغ سيدنا محمد ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ..

وكان ﷺ في مجتمع المسلمين ـ النبي الذي يوحى إليه ..
والإمام الذي يصون الأمة ويرعى شئونها ..
والقائد الأعلى للجيش يقود المعارك ويتقدم الجيوش ..
والقاضي الذي يلجأ الناس إليه في أمور دينهم ..
والمفتي الذي يلجأ الناس إليه في أمور دينهم ووقائع حياتهم ..

ثم هو ﷺ مولى كل مسلم ومسلمة ، يعود المريض ، ويواسي المكلوم ، ويصل الرحم ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويمازح أصحابه ، ويتفقد أحوالهم في السراء والضراء ..

وظل رسول الله ﷺ على ذلك حتى جاءه اليقين ، وكانت آخر كلماته وهو يفارق الدنيا :

— الصلاة وما ملكت أيمانكم ..
— لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .. .
— اللهم الرفيق الأعلى ..
— أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ..
— مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..

لقد مرض رسول الله مرض الوفاة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر فى العام الحادى عشر للهجرة ، وتوفى يوم الإثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فى اليوم الذى قدم فيه المدينة مهاجرا : واستكمل رسول الله ﷺ فى هجرته عشر سنين كاملة[١] . .

وعندما شاع خبر الوفاة انقسم الناس مابين مصدق ومكذب ، حتى قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال : مات بالقتل والقطع ، ويقول : لايموت رسول الله حتى يفنى الله المنافقين . .

فأقبل أبو بكر الصديق ودخل حجرة السيدة عائشة ، وكشف عن وجه رسول الله ﷺ وأكب عليه يقبله ثم بكى وقال :

بأبى أنت وأمى يارسول الله . .

ما أطيبك حيا وميتا . .

ثم صعد المنبر وخطب الناس قائلا :

من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .. !!

ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .. !!

ثم قرأ هذه الآية : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين »[٢] .

---

(١) هذا هو المشهور عند أهل العلم وذكره ابن إسحق والواقدى وجزم به ابن سعد ، راجع البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٥٤ ج ٥ ـ ط مكتبة المعارف ـ بيروت

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤

قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق، فعقرت[١] حتى ما تقلنى رجلاى ، وحتى هويت إلى الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات .

إن إدراك العام يختلف عن إدراك الخاص ، فإدراك الشخص لجمال النساء يختلف عن إدراكه لجمال إمرأة بعينها .

وإن إمكان الشيء غير وقوعه ، فمفاجأة الواقع أكثر أثراً من العلم بإمكانه ، فكل الناس يدركون أنهم ميتون لكن وقوع الموت يترك ألما أشد وحزناً أعمق .

• • •

مؤتمر السقيفة :

فور تأكد خبر الوفاة اجتمع الأنصار فى سقيفة[٢] بنى ساعدة يتشاورون فى تنصيب خليفة منهم ، وأرادوا بيعة سعد بن عبادة سيد الخزرج .

وبلغ الخبر المهاجرين فتحرك أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة ، وجرت هناك مجادلات ، وقدمت اقتراحات ، وسيقت مبررات .

تكلم خطيب الأنصار قائلا :

نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ،

---

(١) عقرت — بضم العين وكسر القاف — أى هلكت ، وفى رواية بفتح العين أى دهشت وتحيرت .

(٢) السقيفة مكان يجتمعون فيه لمناقشة أمورهم .

وقد دفت دافة[1] منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحصنونا من الأمر .

تكلم أبو بكر قائلا :

ما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وما تعرف العرب هـذا الأمر[2] إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً .

وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدى عمر وأبى عبيدة .

فقام الحباب بن المنذر فقال :

أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب[3] . منا أمير ومنكم أمـير يا معشر قريش .

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات فقام عمر بن الخطاب وقال : أبسط يدك يا أبا بكر أبايعك .

وحصلت هجمة كاد أن يموت فيها سعد بن عبادة ، فقال قائل من الأنصار : قتلتم سعدا .

فقال عمر : قتل الله سعدا .

وتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره وقال :

---

(١) أى جماعة .

(٢) أى الرئاسة والإمارة .

(٣) يصف نفسه بالدهاء والذكاء .

لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار .

ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال — وأنت قاعد — : قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم .

فقال سعد بن عبادة : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء .

فتمت بيعة أبي بكر من الحاضرين المهاجرين والأنصار ، وكان ذلك مساء يوم الاثنين ، يوم وفاة الرسول ﷺ .

ه على بيعة أبي بكر أثناء ممممة
ما وقال : أما والله ما وجـدنا فيما
أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم
فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى ،
ن بايع أميراً من غير مشورة المسلمين
، وإنها تغرة[1] يجب أن يقتلا[2] .

• •

---

(١) تغرة : بمعنى التغرير والخداع .

(٢) راجع الروايات في البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٤٥ ح ٥ ط مكتبة المعارف — بيروت .

موقف على بن أبى طالب :

تخلف آل بيت النبي ﷺ عن اجتماع السقيفة لملازمتهم الجسد الشريف .

ولما تمت بيعة أبى بكر فى السقيفة ، اجتمع الناس صبيحة يوم الثلاثاء فى المسجد لبيعة الصديق بيعة عامة من المهاجرين والأنصار قاطبة .

وحين صعد أبو بكر المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير بن العوام فدعا به فجاء فقال له :

ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ !

فقال الزبير : لا تثريب يا خليفة رسول الله وقام فبايعه .

ثم نظر أبو بكر فلم ير على بن أبى طالب ، فدعا به فجاء فقال له :

ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ !

فقال على : لا تثريب يا خليفة رسول الله وقام فبايعه .

وقد روى تلك البيعة من على بن أبى طالب — ابن خزيمة والبيهقى ..

ثم حدثت خلافات بين الصديق وفاطمة الزهراء بشأن ميراثها من خيبر وفدك[1] ، فقد روى الصديق حديث رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء ، ما تركنا فهو صدقة ، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال » .

---

(١) فدك قرية شمال المدينة كانت لليهود وسلبوها للرسول دون قتال .

ولم تكن السيدة فاطمة هى وحدها الوارثة لرسول الله فهنالك أزواجه وعمه العباس فحجبهم جميعاً أبو بكر بهذا الحديث .

وظلت السيدة فاطمة على رأيها فى وجوب الميراث ثم اقترحت على أبى بكر أن يجعل على بن أبى طالب مشرفا على هـــذه الأرض ينظر فى غلتها وثمرتها وينفق منها على من يستحق ، فرفض أبو بكر بناء على أنه خليفة رسول الله والقائم بالأمر بعده ، فهو أحق بالإشراف على أموال المسلمين والتصرف فيها .

فأحدث ذلك غضبا شديداً للسيدة فاطمة الزهراء فاعتزلت الصديق حتى توفيت بعد ستة أشهر من انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وطاوعها فى ذلك زوجها على بن أبى طالب ، وآثر الوقوف بجانبها مراعاة لخاطرها ، حتى إنه دفنها ليلا دون أن يعلم أبا بكر .

فماذا حدث بعد وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها ؟

يسوق الإمام البخارى هذه الرواية :

وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر .

فأرسل إلى أبى بكر : ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر ، لما علم من شدة عمر .

فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك .

قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بى ، والله لآتينهم .

فانطلق أبو بكر .

قال على : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرا

ساقه الله إليك ، ولكنكم استبددتم بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا فى هذا الأمر نصيبا .

فلم يزل على يذكر حتى بكى أبو بكر وقال :

والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ أن أصل من قرابتى .

وأما الذى شجر بينكم فى هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلا صنعته .

فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر به .

وتشهد على فعظم حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقته ، وحدث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر ، ثم قام إلى أبى بكر فبايعه .

فأقبل الناس على على بن أبى طالب فقالوا : أحسنت ، وكان الناس إلى على قريباً حين راجع الأمر بالمعروف » .

وإذا كان حديث البخارى هذا ينص على أن علياً لم يبايع إلا بعد وفاة السيدة فاطمة وأنه اعتذر عن تخلفه هذه المدة فإن العلماء يرون أن المثبت مقدم على النافى وأن حديث ابن خزيمة والبيهقى مثبت فيقدم على النافى .

وأكد الإمام ابن كثير أن بيعة على بن أبى طالب للصديق تمت فى اليوم الأول أو الثانى للوفاة وأن هذا حق لأن عليا لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه ، وأنه

خرج مع الصديق إلى ذى القصة[1] يريد قتال المرتدين[2] .

وأياما كان ، وسواء أثبتنا البيعة الأولى يوم الثلاثاء عقب اجتماع السقيفة أو اكتفينا بالبيعة الثانية بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء — رضى الله عنها — فإن الذى لا مرية فيه أن على بن أبى طالب رضى الله عنه ظل مع الصديق خلافته ومع الفاروق خلافته — نعم الوزير والصاحب والناصح ، وشارك فى كافة شئون الدولة ، ولم يتخلف عن مهمة توكل إليه أو عمل يسند إليه .

ولم تكن مسألة الخلافة محل نقاش أو سبب نزاع منذ وفاة السيدة فاطمة الزهراء ، والتقى الجميع على هدف واحد هو بناء الدولة وتثبيت دعائم الحكم الإسلامى ونشره فى أرض الله الواسعة .

وعلى المستوى الأسرى فقد تزوج أبو بكر أسماء بنت عميس أرملة الشهيد الطيار جعفر بن أبى طالب ، فولدت له محمداً ، فلما توفى أبو بكر تزوجها على بن أبى طالب وتكفل بمحمد بن أبى بكر ونشأ فى حجره ... فلما آلت الخلافة إلى على بن أبى طالب جعل محمد بن أبى بكر واليا على مصر لكن معاوية بن أبى سفيان بعث عمرو بن العاص فاستولى على مصر وقتل محمد بن أبى بكر وصلبه .

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم الكبرى بنت على بن أبى طالب من زوجه السيدة فاطمة الزهراء ، فولدت له زيداً ورقية وقيل فاطمة[3] .

---

(١) موقع على بعد مرحلة من المدينة .

(٢) البداية والنهاية ص ٢٤٩ ح ٥

(٣) راجع كتاب المعارف لإبن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ ص ١٠١ ، ١٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت وكتاب من البداية لإبن كثير ص ١٣٩ ، ٣١٩ ح ٧ ط مكتبة المعارف — بيروت .

الفتنة الـكبرى

(أ) خلافة عثمان بن عفان :

التق شمل المسلمين فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر ، وقامت الخلافة الراشدة تفتح القلوب والعقول و تبسط النور والهداية فى كل مكان وتحركت كتائب الإسلام لفتوحات العراق والشام ، وفجأة قام أبو لؤلؤة المجوسى بطعن عمر وهو قائم يصلى فمضى عمر بن الخطاب شهيدا بعد أن جعل الأمر بعده شورى فى ستة نفر،هم : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف وجعل ابنه عبد الله بن عمر يحضر مجلس الشورى يبدى النصيحة ويرجح عند الانقسام ولا يتولى شيئا .

وأوصى أن يصلى بالناس صهيب الرومى ثلاثة أيام حتى تنقضى الشورى ويختار الخليفة .

وانتهى الأمر باختيار عثمان بن عفان خليفة وإماماً للمسلمين فى بداية العام الرابع والعشرين للهجرة .

ولقد لخص الإمام الشهرستانى الموقف فى خلافة عثمان رضى الله عنه فقال : انتظم الأمر ، واستمرت الدعوة فى زمانه ، وكثرت الفتوح ، وامتلاء بيت المال ، وعاشر الخلق على أحسن خلق ، وعاملهم بأبسط يد .

غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا نهابر[1] فركبته ، وجاروا فجير

---

(١) نهابر : مهالك ، جمع نهبورة بضم النون فيهما .

عليه ، ووقعت فى زمانه اختلافات كثيرة ، وأخذوا عليه أحداثا ، كلها محالة[1] على بنى أمية .

منها رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ ، وكان يسمى طريد رسول الله[2] ، وبعد أن تشفع إلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أيام خلافتهما فما أجاباه إلى ذلك ، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخا .

ومنها نفيه أباذر إلى الربذة[3] .

وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتى ألف دينار .

ومنها إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، وكان رضيعه ، بعد أن أهدر النبى ﷺ دمه ، وتوليته إياه مصر بأعمالها[4] .

وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث ، إلى غير

---

(١) محالة أى محولة ومنسوبة

(٢) أسلم الحكم يوم فتح مكة ثم كان يفشى سر رسول الله فلعنه وطرده إلى بطن وج « مكان بالطائف » ثم أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم وكان للحكم واحد وعشرون ابنا وثمانى بنات ، « راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٩٩

(٣) مكان شرقى المدينة ، وكان أبو ذر يفتى بحرمة من يدخر فوق قوته ويوجب التصدق بالفضل من المال

(٤) أسلم عبد الله بن سعد ، وكتب الوحى لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة مشركا وفى عام الفتح جاء إلى عثمان بن عفان « أخيه لأمه من —

ذلك بما نقموا عليه .. »[١] .

وقد اشتدت حملة العصيان والتمرد على الخليفة وتجمع البغاة من كل صوب وحدب وأحكموا الحصار حول بيت الخليفة وأغلقت المدينة أبوابها .

وفى يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة أقتحمت دار الخليفة وأحرق بابها ووصلوا إليه وهو صائم جالس والمصحف بين يديه فشجوا رأسه وشدوا لحيته وكسروا أضلاعه وشقوا بطنه وقطعوا حلقه وقتلوه شر قتلة .

= للرضاعة » فاستأمن له فأمنه النبي ﷺ وشارك بعد ذلك فى فتح مصر وبلاد أفريقيا

(١) عبد الله بن عامر هو ابن خال عثمان ، ولاه البصره بعد عزل أبى موسى الأشعرى وولاده بلاد فارس بعد عزل عثمان بن أبى العاص ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة .

راجع الملل والنحل للشهرستانى ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص٢٤ ط دار الفكر — بيروت

ب — خلافة على بن أبى طالب :

أسقط فى أيدى الصحابة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه، ووجدوا أنفسهم فى موقف لم يكن فى الحسبان، فلم يظن ظان أن هؤلاء البغاة مقدمون على تنفيذ جريمتهم.

وتلفت الصحابة فيمن يقود الدولة ويتولى شئون الرعية، ويحافظ على الثغور، ويرد كيد المتربصين بالإسلام..

وانقسمت الترشيحات للخلافة، فأراد المصريون مبايعة على بن أبى طالب، وأراد الكوفيون مبايعة الزبير بن العوام. وأراد البصريون مبايعة طلحة بن عبيد الله.. كما عرضت الإمامة على سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ..

وكل هؤلاء يرفضون الإمامة لأن الوقت وقت فتنة، اختلطت فيه الأمور، وتكالبت قوى الشر الداخلية، وغلب جهلة الأعراب والرعاع ..

وبعد لأى وتردد قبل الخلافة على بن أبى طالب يوم الخميس، الرابع والعشرين من ذى الحجة عام خمسة وثلاثين للهجرة ..

وامتنع عن مبايعته طائفة من الأنصار والمهاجرين وذهبوا إلى الشام، أو راحوا إلى مكة، وكانت أمهات المؤمنين يؤدين الحج فى هذا العام. فلما قتل عثمان أقمن بمكة ورفضن العودة إلى المدينة فرارا من الفتنة وانتظارا لما تكشف عنه الأيام ..

وخرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه، وبه أصابع نائلة امرأة عثمان، وحمل ذلك لمعاوية بن أبى سفيان بالشام فوضعه

معاوية على المنبر ودعا الناس إلى الأخذ بثأر عثمان ، وظل الناس يتباكون حوله مدة عام ..

واشتعلت الخلافات بين على ومعاوية ، وانقسم الناس بين الرجلين ، ووقعت معركتان راح ضحيتهما آلاف مؤلفة من المسلمين،هما وقعة الجمل وموقعة صفين ..

ثم حدثت خدعة التحكيم ، وتمرد بعض أنصار على بن أبي طالب وخرجوا عليه .

وكانت النهاية أن اتفق الخوارج على التخلص من على ومعاوية وعمرو ابن العاص ، وبعثوا إلى كل واحد من هؤلاء من يترصد له ويقتله ..

فقام عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميرى بتوجيه ضربة بسيف مسمم إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب فى سحر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان عام أربعين من الهجرة ..

ومكث رضى الله عنه يوم الجمعة وصباح السبت وتوفى ليلة الأحد ..

ونجا معاوية بن أبي سفيان من محاولة اغتياله فلم تكن ضربته قاتلة ، ولم يخرج عمرو بن العاص ليلتها فى صلاة الفجر لمرض ألم به ، فأصابت الضربة نائبه فى الصلاة ، خارجة بن أبي حبيبة من بنى عامر فقتل ..

وقد حاول البعض البيعة للحسن بن على لكنهم ما لبثوا أن تفرقوا عنه ، كما تفرقوا عن أبيه من قبل .. فلم يجد بدا من التنازل عن الإمارة لمعاوية ..

وبذلك طويت صفحة الخلافة الراشدة ، وأصبحت ملكاً عضوضا ابتدعه بنو أمية ..

وكان الشهرستانى صائباً حكيما عندما قال :

وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامه ، إذ ما سل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الإمامة فى كل زمان »[١] .

وواصل الفكر الإسلامى تساؤلاته :

— هل الإمامة ركن من أركان الدين أو مصلحة من مصالح المسلمين ؟

— وهل الإمامة بالنص أو بالاختيار ؟

— وهل الإمام معصوم أو رجل من المسلمين له وعليه ؟

— وهل الأئمة من قريش أو من عامة المسلمين ؟

وتعددت الآراء وتباينت المواقف ..

ونؤكد نقطة ذات بال وهى :

أن قضية الإمامة فى الفكر الإسلامى لها جانبان :

ا — جانب تاريخى ينبغى التوقف عن الخوض فيه ، ونتمثل قول الله تعالى « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون[٢] .

ب — جانب اجتهادى يتصل بفقه الإمامة فى الإسلام ، ويحتاج إلى يقظة ووعى وإخلاص كى نصلح واقع المسلمين المعاصر، وهذا هو ما يجب العناية به والاهتمام ..

---

(١) الملل والنحل ص ٢٢ .

(٢) سورة البقرة — الآية ١٤١ .

الوعد والوعيد

الوعد يكون بالخير .

والوعيد يكون بالشر .

والمراد بالوعد والوعيد شرعاً الثواب والعقاب اللذان أخبر بهما القرآن الكريم والسنة النبوية جزاء للأعمال البشرية ، فقد جاء الثواب مرتبطاً بالعمل الصالح ، وجاء العقاب مرتبطاً بالفحشاء والمنكر والبغى . .

وكان ثواب الله مضاعفا ، وعقاب الله بقدر المعصية ، قال تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون »[١] .

وثواب الله قد يكون عاجلا فى الدنيا بركة ونماء ونصرة وتأييدا وقد يكون آجلا وهو الأبقى فى الجنة ونعيمها ..

وعقاب الله قد يكون عاجلا فى الدنيا ضنكا وشقاء وهزيمة ونكالا ، وقد يكون آجلا وهو الأبقى فى النار وعذابها ..

قال تعالى « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »[٢] .

وقال جل شأنه « فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[٣] .

---

(١) سورة الأنعام - الآية ١٦٠ (٢) سورة غافر الآية ٥١

(٣) سورة العنكبوت - الآية ٤٠ .

وجاءت نصوص شرعية تفيد أن دخول الجنة هو جزاء العمل الصالح، كما فى قوله تعالى : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »(١) .

ومع ذلك فقد قال رسول الله ﷺ « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة » .

وجاءت نصوص تفيد تخلف الوعيد ودخوله تحت المشيئة ، كما فى قوله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً »(٢) .

وفى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال :

يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟

قال معاذ : الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

قال معاذ : يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا »

ووردت نصوص شرعية تثبت المآكل والمشارب فى النعيم والجحيم كما فى قوله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم ،

---

(١) سورة الأعراف الآية ٤٣

(٢) « النساء الآية ٤٨

كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم »[1] .

وأكدت النصوص أن هذا الوعد وذلك الوعيد يستحقه أصحابه على الخلود .

قال تعالى فى أصحاب الجنة « خالدين فيها لا يبغون عنها حولا »[2] .

وقال تعالى فى أصحاب النار « فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا »[3] .

واختلف الفرقاء فى فهم الوعد والوعيد وتوالت تساؤلات :

— هل يجوز تخلف الوعد والوعيد عقلا وشرعا أو لا ؟

— وهل ثواب الله فضل وعقابه عدل أو أن كليهما فى أصله عدل لا فضل فيه ؟

— وهل المراد بالشرك ما يعم الشرك العقدى والشرك العملى أو أنه وقف على الشرك العقدى فقط ؟

— وهل الخلود بمعنى المكث الطويل أو أنه المكث الأبدى الذى لا ينقطع ولا يزول ؟

— وهل تتحقق آخرية الله تعالى بفناء جميع خلقه فى الدنيا أو فى الدنيا والآخرة معاً ؟

— وهل الجزاء الأخروى مادى أو معنوى ؟

وساق الفكر الوافد على البيئة الإسلامية مقدمات فكرية التزم بها البعض وحمل عليها نصوص الشرع ودار جدل طويل حول المعاد والجزاء

---

(١) سورة محمد الآية ١٥

(٢) « الكهف الآية ١٠٨

(٣) « الجن الآية ٢٣

هذا وقد خرج المسلمون من معمعة الصراع السياسى حول الإمامة والخلافة مثخنى الجراح ، مكلومى القلب ، فقد قتل أئمة الصحابة والتابعين وتقطعت أرحام المؤمنين ، ووقف أعلام الأمة مواقف لا يحسدون عليها .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفى[1] أكثر الناس عدوانا على المسلمين .

وكانت الخوارج أكثر الشيع إرهاباً لمجتمع المسلمين .

وتوالت المجازر البشرية من الأمويين للعلويين ثم تولى كبرها العباسيون فتعقبوا كلا من الأمويين والعلويين ، واستبيحت الدماء واستحلت المحارم ، وهدمت الكعبة[2] .

وتساءل الناس عن حكم مرتكب الكبيرة ، وما جزاء البغاة المحاربين للإمام ؟ وما حكم المتغلب على الحكم ؟ وهل للقاتل توبة ؟

وتباينت الفرق فى الجواب عن هذه التساؤلات .

ونستطيع أن نقرر أن مسألة مرتكب الكبيرة والوعد والوعيد فى الفكر الإسلامى نشأت نشأة سياسية ، وتداخلت فيها تأثيرات الفكر الوافد ، وارتبطت بأحداث تاريخية فات وقتها ، وباء بإثمها من باء ومضى شهيداً من مضى .. وتحتاج منا الآن إلى نظرة إسلامية صافية .

---

(١) توفى الحجاج عام ٩٥ هـ وكان واليا للخليفة الأموى عبد الملك بن مروان على الحجاز مدة ثلاث سنين ثم على العراق مدة عشرين عاما .

(٢) رميت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت سنة ٦٤ هـ أثناء حصار ابن الزبير فى عهد يزيد بن معاوية ، ثم هدمها ابن الزبير وأعاد بناءها وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين ، ولما قتله الحجاج سنة ٧٣ هـ هدم الكعبة وأخرج منها الحجر وسد الباب الغربى .

فقه العبادات والمعاملات

من مسائل الاجتهاد التى نشأت على هدى منها مذاهب كثيرة — الأحكام العملية فى الإسلام، أو مايسمى بفقه العبادات والمعاملات، وقد تعددت المذاهب وتباينت، فكان الفقه الشيعى والفقه السنى، وانقسم كل منهما إلى مذاهب.

وعلى سبيل المثال انقسم الفقه السنى إلى مذاهب، أشهرها:

مذهب أبى حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ — ١٥٠ هـ).

ومذهب مالك بن أنس (٩٣ — ١٧٩ هـ).

ومذهب محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ — ٢٠٤ هـ).

ومذهب أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ).

ومذهب داود الظاهرى (٢٠٠ — ٢٧٠ هـ).

ولم تكن نشأة المذاهب الفقهية بدعا من الأمر، بل جاءت امتداداً لأمور كثيرة فى العهد النبوى منها:

أولا: أدلة القرآن الكريم:

إن الفهم لأحكام القرآن الكريم يقتضى الإحاطة بعلوم شتى، إذا لم تتوافر لدى المجتهد أدت إلى نشأة الخلاف وتعدد الآراء، وأهم هذه العلوم:

— أسباب النزول.

— فقه اللغة العربية.

— الناسخ والمنسوخ.

فإن معرفة سبب النزول يعين على فهم الأحكام القرآنية ، والجهل به يوقع فى الشبه ويدفع إلى النزاع .

وقد وقع فى عهد الصحابة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل قدامة بن مطعون على البحرين ، فقدم الجارود على عمر فقال :

إن قدامة شرب فسكر .

فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟

قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقول .

فاستقدم عمر قدامة وقال له :

يا قدامة إنى جالدك . .

قال · والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدنى .

قال عمر : ولم ؟ قال : لأن الله يقول « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين »[1] .

فقال عمر : إنك أخطأت التأويل ياقدامة ، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله .

وفى رواية : فقال : لم تجلدنى ؟ بينى وبينك كتاب الله .

فقال عمر : وأى كتاب الله تجد أن لا أجلدك ؟

قال : إن الله يقول فى كتابه « ليس على الذين آمنوا .. الآية » ، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً وأحدا والخندق والمشاهد ·

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٣

فقال عمر : ألا تردون عليه قوله ؟

فقال ابن عباس : إن هؤلاء الآيات أنزلن عذراً للماضين وحجة على الباقين ، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر ، وحجة على الباقين لأن الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين »[1] .

فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا فإن الله قد نهى عن أن يشرب الخمر .

قال عمر : صدقت[2] .

* * *

وإن فقه اللغة العربية فى حقيقتها ومجازها وأساليب بيانها — أمر مهم فى فهم أحكام القرآن لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين .

وقد اختلف الفقهاء — تبعا لذلك — فى فهم نصوص القرآن وأحكامه وعلى سبيل المثال :

• قال الله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »[3] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٠ : ٩٢

(٢) الموافقات فى أصول الشريعة لأبى اسحق الشاطبى المتوفى ٧٩٠ هـ تحقيق الشيخ عبد الله دراز وآخرين جـ ٢ ص ٢٥٩ ط دار الكتب العلمية — لبنان .

(٣) سورة البقرة — الآية ٢٢٨

فهل المراد بالقرء الطهر أو الحيض ؟

ويترتب على ذلك بدء العدة ونهايتها ، حتى يمكن مراجعة المطلقة فى العدة أو تحل لزوج آخر عقب انتهاء العدة .

• وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه »[1] .

فقوله « وأيديكم إلى المرافق » .

هل الغاية داخلة فى الحكم أولا ؟

فالجمهور على أن المرافق داخلة فى غسل اليدين وجوبا .

وقال زفر وداود والطبرى وبعض متأخرى المالكية — غير داخلة فى الحكم فلا يجب غسلها .

وقوله : « وامسحوا برءوسكم » .

هل الباء للتبعيض أو للاستيعاب أو للإلصاق .

فذهب الأحناف إلى مسح ربع الرأس وذهب المالكية إلى مسح كل الرأس وذهب الشافعية إلى أن الوجوب يتحقق ولو بشعرة .

وقوله : « أو لامستم النساء » .

هل المراد بالملامسة المعاشرة الزوجية أو اللمس والمس بالبشرة ؟ خلاف بين العلماء .

• • •

---

(١) سورة المائدة — الآية ٦

وإن معرفة الناسخ والمنسوخ يحدد الحكم القائم اليوم ، فقد جاءت نصوص شرعية فى الكتاب والسنة تذكر أحكاما التزم بها الناس فترة زمنية ثم تلاها أحكام أخرى استقرت فى الشريعة وأصبحت بدلا عن الأحكام السابقة .

فقوله تعالى: « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج »[1] .

نسخه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا»[2] .

• وقوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين »[3] .

عقب ذكر المحرمات من النساء .

نسخه قوله ﷺ « لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها » .

• كان التوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة بعد الهجرة بسنة نبوية ثم نسخ بقوله تعالى« فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره »[4] .

• وصوم عاشوراء كان واجبا بالسنة ونسخه قوله تعالى فى وجوب

---

(١) سورة البقرة — الآية ٢٤٠

(٢) سورة البقرة — الآية ٢٣٤

(٣) سورة النساء — الآية ٢٤

(٤) سورة البقرة — الآية ١٤٤

صيام شهر رمضان « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »(١) .

• • •

ثانياً : السنة النبوية :

السنة النبوية هي المبينة للقرآن والشارحة له ، وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته .

وقد اجتهد العلماء في السنة رواية ودراية ، فقسموا السنة إلى ما هو متواتر وما هو آحاد ، ووضعوا شروطا للقبول والرد ، والتصحيح والتحسين والضعف .. إلخ .

وكان لفقه الحديث أثر كبير في تعدد المذاهب ، فتقسيم الطلاق إلى سني وبدعي والحكم على البدعي بالوقوع أو عدم الوقوع — كان انطلاقا من فقه حديث ابن عمر عندما طلق زوجته وهي حائض ، فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب : مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » .

ووقع اجتهاد بشأن حديث فاطمة بنت قيس في أن الرسول ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة إذ طلقها زوجها ألبتة ، فقد رده عمر وقال : لا نترك كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت » .

---

(١) سورة البقرة — الآية ١٨٥ ، هذا وقد أنكر أبو مسلم الأصفهاني النسخ وجعله تخصيصا في عموم الأزمان ، ولمزيد من التفاصيل راجع كتاب « السنة مع القرآن » للدكتور / سيد أحمد رمضان المسير ص ١٨٠ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

والذين قبلوا روايه هذا الحديث حملوه على أنها بذت على أهل زوجها بلسانها فكان ذلك تفسير القوله تعالى « ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » [١] .

فالفاحشة هي فحش القول أو العمل ..

ووقع اجتهاد بين العلماء بشأن الحامل المتوفى عنها زوجها، متى تنتهى عدتها ؟ فهل عدتها بوضع الحمل طالت المدة أو قصرت لأن الله تعالى يقول « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » [٢] .

ولحديث سبيعة الأسلمية إذ ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فأخبرها النبي ﷺ أن قد حلت ؟

أو أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين : عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر أو وضع الحمل ؟

رأى الإمام الشاطبي :

وقد بحث العلماء كثيرا من هذه المسائل تحت عنوان : الظنى المعارض لأصل قطعى، فقال الإمام الشاطبي :

وللمسألة أصل فى السلف الصالح، فقد ردت عائشة رضى الله عنها حديث «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» لقوله تعالى « أن لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » [٣] .

وردت حديث رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء، لقوله تعالى

(١) سورة الطلاق — الآية ١ .
(٢) سورة الطلاق — الآية ٤ .
(٣) سورة النجم — الآية ٣٨ : ٣٩

« لاتدركه الأبصار »[١] ، وإن كان عند غيرها غير مردود لاستناده إلى أصل آخر لا يناقض الآية ، وهو ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة بأدلة قرآنية وسنية تبلغ القطع ، ولا فرق فى صحة الرؤية بين الدنيا والآخرة .

وردت هى وابن عباس خبر أبى هريرة فى غسل اليدين قبل إدخالها فى الإناء ، استناداً إلى أصل مقطوع به ، وهو رفع الحرج وما لا طاقة به عن الدين ، فلذلك قالا :

فكيف يصنع بالمهراس ؟

وردت أيضاً خبر ابن عمر فى الشؤم (حديث ، إنما الشؤم فى الثلاثة : فى الفرس والمرأة والدار) وقالت كان رسول الله ﷺ يحدث عن أقوال الجاهلية ، لمعارضته الأصل القطعى ، أن الأمر كله لله ، وأن شيئاً من الأشياء لا يفعل شيئاً ، ولا طيرة ولا عدوى ..

ثم نقل الإمام الشاطبى اعتبار الفقهاء لهذه المسألة المهمة واعتمادهم عليها فى استنباط الأحكام[٢] ..

فقال الإمام مالك فى حديث غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعاً :

جاء الحديث ولا أدرى ما حقيقته ؟ ، وكان يضعفه ويقول :

يؤكل صيده فكيف يكره لعابه ؟

وأهمل مالك اعتبار حديث « من مات وعليه صيام صام عنه وليه »

---

(١) سورة الأنعام — الآية ١٠٣ .

(٢) الموافقات فى أصول الشريعة ج ٣ ص ١٤ .

لمنافاته للأصل الكلى القرآنى « أن لا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ماسعى »[1] .

ولم يعتبر مالك فى الرضاع خمسا ولا عشرا للأصل القرآنى « وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة »[2] .

رأى الإمام السرخسى :

وقد ناقش الإمام أبو بكر بن أحمد السرخسى هذه المسألة قبل الإمام الشاطبى بثلاثة قرون[3] ، وقسم الرواة إلى قسمين : معروف ومجهول ، وقسم المعروف إلى نوعين : من كان معروفا بالفقه والرأى فى الاجتهاد ، ومن كان معروفا بالعدالة وحسن الضبط والحفظ ولكنه قليل الفقه .

فالنوع الأول كالخلفاء الراشدين والعبادلة وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى وعائشة وغيرهم من المشهورين بالفقه من الصحابة رضى الله عنهم ، وخبرهم حجة موجبة للعلم الذى هو غالب الرأى ، ويبتنى عليه وجوب العمل سواء كان الخبر موافقا للقياس أو مخالفا له .

وأما المعروف بالعدالة والضبط والحفظ كأبى هريرة وأنس بن مالك رضى الله عنهما وغيرهما ممن اشتهر بالصحبة مع رسول الله ﷺ والسماع منه مدة طويلة فى الحضر والسفر ، لكنهم لم يبلغوا درجة الفقه والرأى كالنوع الأول ، فقد توقف الصحابة فى قبول مرويات هذا النوع إذا عارضت القياس الصحيح .

---

(١) سورة النجم — الآية ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٣

(٣) توفى سنة ٤٩٠ هـ و توفى الشاطبى سنة ٧٩٠هـ

فقد رد ابن عباس خبر أبي هريرة « توضأوا مما مسته النار » وقال : أرأيت لو توضأت بماء سخن أكنت تتوضأ منه ؟! أرأيت لو ادهن أهلك بدهن فادهنت به شاربك أكنت تتوضأ منه ؟!

ورد ابن عباس خبر أبي هريرة « من حمل جنازة فليتوضأ » وقال : أيلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة ؟!

وردت عائشة خبر أبي هريرة « إن ولد الزنا شر الثلاثة » وقالت : كيف يصح هذا وقد قال الله تعالى « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » .

ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا هريرة يروى ما لا يعرف عمر قال: لتكفن عن هذا أو لألحقنك بجبال دوس .

ثم قال الإمام السرخسي كلمة انصاف وحكمة :

ولعل ظانا يظن أن في مقالتنا ازدراء بأبي هريرة ، ومعاذ الله من ذلك، فهو مقدم في العدالة والحفظ والضبط ، ولكن نقل الخبر بالمعنى كان مستفيضا فيهم .

والوقوف على كل معنى أراده رسول الله ﷺ بكلامه أمر عظيم، فقد أوتى جوامع الكلم على ما قال « أوتيت جوامع الكلم واختصر لى اختصاراً » .

ومعلوم أن الناقل بالمعنى لا ينقل إلا بقدر ما فهمه من العبارة ، وعند قصور فهم السامع ربما يذهب عليه بعض المراد .

وهذا القصور لا يشكل عند المقابلة بما هو فقه لفظ رسول الله ﷺ .

فلتوهم هذا القصور قلنا :

إذا انسد باب الرأى فيما روى ، وتحققت الضرورة بكونه مخالفا للقياس الصحيح فلا بد من تركه ، لأن كون القياس الصحيح حجة — ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، فما خالف القياس الصحيح من كل وجه فهو فى المعنى مخالف للكتاب والسنة المشهورة والإجماع »[1] .

• • •

ثالثاً : اجتهاد الصحابة فى العهد النبوى :

نزل الوحى بالأحكام الشرعية وأعلنها الرسول ﷺ ، والتزم بها الصحابة التزاما أمينا ، لكن أثبت الواقع أن الصحابة اجتهدوا فى فهم الحكم الشرعى على عهد رسول الله ﷺ وناقشوا الرسول فى بعض الأحكام وجادلوه فى حكمتها .

ففى صحيح البخارى : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إنى أجنبت فلم أصب الماء ، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب : أما تذكر أنا كنا فى سفر ، أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت فصليت ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ : كان يكفيك هكذا ، فضرب النبى ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه » .

وفى شرحه لهذا الحديث قال ابن حجر :

وكأن عمارا استعمل القياس فى هذه المسألة ، لأنه لما رأى أن التيمم إذا وقع بدل الوضوء وقع على هيئة الوضوء — رأى أن التيمم عن الغسل يقع على هيئة الغسل » ولهذا تمعك فى التراب أى تمرغ » .

---

(١) أصول السرخسى — تحقيق أبو الوفا الأفغانى — ح ١ ص ٣٣٨ ط دار الكتب العلمية — لبنان

ويستفاد من هذا الحديث وقوع اجتهاد الصحابة فى زمن النبى ﷺ وأن المجتهد لا لوم عليه إذا بذل وسعه وإن لم يصب الحق ، وأنه إذا عمل بالاجتهاد لا تجب عليه الإعادة »(١) .

وفى صحيح البخارى عن طريق عكرمة عن ابن عباس :

أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : البينة أو حد فى ظهرك .

فقال يارسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبى ﷺ يقول : البينة أو حد فى ظهرك .

فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد .

فنزل جبريل فأنزل الله « والذين يرمون أزواجهم » فقرأ حتى بلغ « إن كان من الصادقين »(٢) .

إن الله تعالى جعل حد القاذف بالزنا ثمانين جلدة ما لم يأت بأربعة شهود لكن ما الحكم إذا قذف الرجل زوجته أيخرج يلتمس البينة فيكون المشهد قد انتهى أم يسكت ويكون ديوثا ؟

لقد جاء هلال بن أمية يتهم امرأته بالزنا ولم يكن أمام الرسول بد من بيان حكم القذف العام الذى نزلت به الآيات ، وظل الرجل يجادل رسول الله ﷺ حتى نزل الوحى يستثنى الأزواج من هذا الحكم العام ويجعل لهم حكما خاصا هو اللعان .

---

(١) فتح البارى ج ١ ص ٤٤٤
(٢) سورة النور الآية ٦ : ٩

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت :

تبارك الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى علىّ بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول :

« يارسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبرسنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إنى اشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها »[1] وهو أوس ابن الصامت » .

إن الظهار كان طلاقاً فى الجاهلية ، وكان أوس بن الصامت شيخا كبيرا ساء خلقه ، فظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة ، فجاءت تلتمس الفتوى من رسول الله فقال لها : قد حرمت عليه ، لكن المرأة كانت فى حاجة إلى زوجها أبى أولادها وعائلها وقالت: إن لى منه صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وظلت تجادل رسول الله وتقول إنه لم يذكر طلاقا ، حتى نزل الوحى بحكم جديد هو أن الظهار ليس طلاقا وإنما فيه كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا على هذا الترتيب .

● ● ●

وهكذا فإن اجتهاد العلماء بعد ذلك وتعدد أفهامهم فى ضبط الأحكام وبيان الأصول أمر وارد وواقع ، فنشأت المذاهب وتكاثرت الفرق .

---

(١) سورة المجادلة الآية ١

الفكر الوافد

ليس هناك مجتمع على وجه الأرض لم يتأثر بالفكر الوافد ، لكن تختلف الشعوب فى مدى هذا التأثر .

وما كان عرب مكة إلا أثرا للقاء إسماعيل عليه السلام ، القادم من الشام ، بامرأة عربية فنشأ العرب المستعربة .

وقد عرف عرب الجاهلية رحلة الشتاء والصيف ، ونشأت عبادة الأصنام فى مكة عندما حمل عمرو بن لحى الخزاعى الصنم « هبل » من الشام وأقامه فيها .

وقدم أبرهة من الحبشة وأقام كنيسة فى صنعاء ، وأراد صرف الناس عن تقديس الكعبة .

وفى صدر الإسلام أسلم بلال الحبشى وسلمان الفارسى ودخل الناس فى دين الله من كل فج عميق .

وأشار الرسول ﷺ — على زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية أو السريانية فتعلمها زيد فى سبع عشرة ليلة .

وحاول المسلمون الاتصال بأهل الكتاب والرواية عنهم فقال لهم رسول ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » .

وعرفت الإسرائيليات طريقها إلى كتب التفسير والحديث ، إلا أن الفكر الوافد بدأ يتغلغل ويتبناه أفراد وجماعات وتشرف عليه مؤسسات الدولة .

وتبلور الفكر الوفد فى إتجاهين أساسيين هما :

— الاتجاه الفلسفى ..

— الاتجاه الصوفى ..

وقد اتخذ كل منهما غطاء إسلاميا تسرب من تحته وسرى فى عروق الأمة ..

لقد وجد الاتجاه الفلسفى ما يؤيد خطاه مثلا فى عناية الإسلام بالعقل ودعوته إلى التأمل ورفعته لشأن العلم والعلماء . .

ووجد الاتجاه الصوفى ما يسانده مثلا فى الزهد والعبادة والمجاهدة ..

الغطاء الإسلامى للفلسفة :

تفرد سيدنا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء بأن آية نبوته كتاب يناجى العقل ويناديه صباح مساء :

« وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين »[١] .

وإن أول آيات القرآن نزولا كانت فتحا عجبا واستفتاحا فريدا :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

وأكد القرآن تأكيداً قوياً على ملاءمة قضايا الدين لقواعد العقل ، واستقامتها على هدى الفطرة النقية ، فخاطب أولى الألباب كما فى قوله تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »[٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ (٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠

وأولى العلم كما فى قوله تعالى :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط »[١]

والعلماء كما فى قوله تعالى :

« إنما يخشى الله من عباده العلماء »[٢] .

والعالمين كما فى قوله تعالى :

« إن فى ذلك لآيات للعالمين »[٣] .

والمتوسمين أى المتأملين أصحاب الوعى والفهم ، كما فى قوله تعالى :

« إن فى ذلك لآيات للمتوسمين »[٤] .

ودعا القرآن إلى التأمل واستنهض العقول بأساليب شتى فقال :

« أفلا تعقلون »[٥] .

« لعلكم تعقلون »[٦] .

« لعلكم تتفكرون »[٧] .

« فلولا تذكرون »[٨] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨
(٢) « فاطر « ٢٨
(٣) « الروم « ٢٢
(٤) « الحجر « ٧٥
(٥) « البقرة « ٤٤
(٦) « « « ٧٣
(٧) « « « ٢١٩
(٨) « الواقعة « ٦٢

« أفلا يتدبرون »[1] .

وقد ناقش علماء المسلمين مسائل الدين وقضاياه على هدى العقل والفطرة ، وانطلقوا من قاعدة أساسية هى أن الأدلة الشرعية لا تتنافى مع مسلمات العقول ولا تصادم الفطر ولا تنأى عن العلم ..

وقد ساق الإمام الشاطبى خمسة وجوه للدلالة على ذلك هى :

أحدها : أنها لو نافتها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره .

لكنها أدلة باتفاق العقلاء .. فدل أنها جارية على قضايا العقول .. وبيان ذلك أن الأدلة إنما نصبت فى الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها من الدخول تحت أحكام التكليف ، ولو نافتها لم تتلقها فضلا أن تعمل بمقتضاها ، وهذا معنى [قولنا لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره] .

ويستوى فى هذا الأدلة المنصوبة على الأحكام الإلهية وعلى الأحكام التكليفية .

الثانى : أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق ، وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدقه العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ويصدقه .

فإذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة ، وقد فرضنا ورود التكليف المنافى التصديق ، وهو معنى تكليف ما لا يطاق ، وهو باطل حسبما هو مذكور فى الأصول .

الثالث : أن مورد التكليف هو العقل ، وذلك ثابت قطعا بالاستقراء

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢

التام ، حتى إذا فقد ارتفع التكليف رأساً ، وعد فاقده كالبهيمة المهملة ، هذا واضح فى اعتبار تصديق العقل بالأدلة فى لزوم التكليف .

فلو جاءت على خلاف ما يقتضيه لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه والصبى والنائم ، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ، بخلاف العاقل الذى يأتيه ما لا يمكن تصديقه به .

ولما كان التكليف ساقطاً عن هؤلاء لزم أن يكون ساقطاً عن العقلاء أيضاً ، وذلك مناف لوضع الشريعة ، فكان ما يؤدى إليه باطلا .

الرابع : أنه لو كان كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به ، لأنهم كانوا فى غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ﷺ ، حتى كانوا يفترون عليه وعليها . فتارة يقولون : ساحر ، وتارة : مجنون ، وتارة : يكذبونه ، كما كانوا يقولون فى القرآن : سحر . وشعر ، وافتراء ، وإنما يعلمه بشر ، وأساطير الأولين .

بل كان أول ما يقولون إن هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للمعقول ، أو ما أشبه ذلك .

فلما لم يكن من ذلك شىء — دل على أنهم عقلوا ما فيه ، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول ، إلا أنهم أبوا من اتباعه لأمور أخر ، حتى كان من أمرهم ما كان ، ولم يعترضه أحد بهذا المدعى فكان قاطعاً فى نفيه عنه .

الخامس : أن الاستقراء دله على جريانها على مقتضى العقول ، بحيث تصدقها العقول الراجحة وتنقاد لها طائعة أو كارهة[1] ، ولا كلام فى عناد معاند ، ولا فى تجاهل متعام .

---

(١) قال محقق الكتاب : أى راغبة فى ذلك بدون سبق عناد =

وهو المعنى بكونها جارية على مقتضى العقول ، لا أن العقول حاكمة عليها ولا محسنة فيها ولا مقبحة . . . .[1] » أ هـ .

وقد رد الإمام الشاطبي على من زعم أن فى القرآن ما لا يعقل معناه كفواتح السور والمتشابهات وقال :

إن فواتح السور للناس فى تفسيرها مقال بناء عـلى أنه مما يعلمه العلماء .

وإن قلنا إنه مما لا يعلمه العلماء فليس مما يتعلق به تـكليف على حال ، فإذا خرج عن ذلك خرج عن كونه دليلا على شيء من الأعمال ، فليس مما نحن فيه .

وإن سلم فالقسم الذى لا يعلمه إلا الله تعالى فى الشريعة نادر ، والنادر لا حكم له ، ولا تنخرم به الكلية المستدل عليها أيضا لأنه مما لا يهتدى العقل إلى فهمه ، وليس كلامنا فيه ، إنما الـكلام على ما يؤدى مفهوما لـكن على خلاف المعقول .

وفواتح السور خارجة عن ذلك لأنا نقطع أنها لو بينت لنا معانيها لم تـكن إلا على مقتضى العقول وهو المطلوب .

وإن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضيات العقول ، وإن توهم بعض النـاس فيها ذلك ، لأن من توهم فيها ذلك فبناء على اتباع الهوى كما نصت عليه الآية « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

= أو مع سبقه ، والـكره غير الإكراه ، الذى لا يتأتى معه التصديق والانقياد العقلى .

(١) الموافقات فى أصول الشريعة ج ٣ ص ١٩ : ٢٠

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله »[1] .

لأنه بناء على أمر صحيح ، فإنه إن كان كذلك فالتأويل فيه راجع إلى معقول موافق لا إلى مخالف .

وإن فرض أنها مما لا يعلمها أحد إلا الله ، فالمعقول عنها مصدودة لأمر خارجى لا لمخالفته لها[2] . .

* * *

الغطاء الإسلامى للتصوف :

مما لا شك فيه أن الإسلام دعا إلى الزهد فى الدنيا بمعنى أن قلب المسلم ينبغى أن يكون مفرغا للحق الأعلى ومتعلقا بالباقيات الصالحات ، لا تشغله هموم الحياة ، ولا يقلقه مستقبل الأيام ، ثم هو يعيش قانعا بما قسم الله له ، يسعى فى مناكب الأرض ويعمرها ويأخذ بالأسباب . .

وحرص الإسلام على تنقية السلوك الإنسانى من الشهوات الآثمة ، ودفع المسلم إلى المجاهدة للنفس الأمارة بالعبادة الخالصة والقنوت لله تعالى ، ومداومة الذكر بالقلب واللسان آناء الليل وأطراف النهار ، فى إطار القصد والمقاربة والتيسير ، وبلا رهبانية وانقطاع . .

ونصوص الشرع فى ذلك أكثر من أن تحصى . .

---

(١) سورة آل عمران — الآية ٧

(٢) الموافقات فى أصول الشريعة ح ٣ ص ٢١

فمن نصوص العبادة :

قال الله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »[1].

وقال جل شأنه « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا »[2].

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

ومن نصوص الزهد :

قال الله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب »[3] .

وقال جل شأنه :

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا

---

(١) سورة الحجر — الآية ٩٩ .

(٢) سورة المزمل — الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران — الآية ١٤ .

ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عـــذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور »[١] .

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال : يا أبا ذر ، قلت: لبيك يارسول الله فقال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهبا ، تمضى على ثلاثة أيام وعندى منه دينار ، إلا شىء أرصده لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ، ثم سار فقال : إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا هكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، وقليل ما هم » .

ومن نصوص التيسير :

عند ما نزل صدر سورة المزمل « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا » قام الرسول ﷺ وأصحابه حتى تورمت أقدامهم فنزل آخرها بالتيسير فى قوله تعالى « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ، ونصفه وثلثه، وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه . » .

وفى صحيح الحديث عن أنس رضى الله عنه قال :

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصلى أبدا .

---

(١) سورة الحديد — الآية ٢٠.

وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

حب آل بيت النبي ﷺ :

إن حب آل بيت النبي ﷺ كان من عناصر الغطاء الإسلامى للفكر الوافد فى اتجاهه الصوفى والشيعى .

إن حب آل بيت النبي ﷺ أمر مقرر شرعا لا جدال فيه، بنصوص القرآن والسنة .

قال الله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهــل البيت ويطهركم تطهيرا »(١)

وقال جل شأنه « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى »(٢) .

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن يزيد بن حبان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنهم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين :

لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ،

(١) سورة الأحزاب — الآية ٣٣ .
(٢) سورة الشورى — الآية ٢٣ .

حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى ، وقدم عهدى ، ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فاقبلوا ، ومالا فلا تكلفونيه ثم قال :

قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه . ووعظ وذكر ثم قال :

أما بعد — ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به .

فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :

وأهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى ، أذكركم الله فى أهل بيتى .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال: ومن هم ؟ قال : هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم » .

هذا وما من مسلم يصلى صلاة إلا ويدعو لآل بيت النبى ﷺ .

فيقول فى التشهد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

• • •

الترجمـــة :

انطلاقا من وقائع العهد النبوى ودعوة الإسلام إلى العلم وحرصه على العقل بدأت جهود فردية للترجمة من الفكر الأجنبى إلى اللغة العربية . .

ويعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء . .

وكانت الكيمياء تعنى يومئذ صناعة الذهب والفضة من غير معادنها ، واهتم بها خالد بن يزيد لكى يغنى أصحابه وإخوانه وقال :

إنى طمعت فى الخلافة فاختزلت دونى فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة فلا أحوج أحداً عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة ، وساق ابن النديم أنه يقال — والله أعلم — :

أنه صح له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب الحرارات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة »[1] .

ثم انتقلت الترجمة إلى رعاية الدولة واهتمام السلطة الحاكمة ، فترجم المنطق فى عهد أبى جعفر المنصور ، وكان سخياً مع المترجمين رغم شهرته بالبخل وذلك لخدمة الجدل الساخن الذى دار يومئذ بين الفرق الإسلامية.

وأخذت الترجمة فى الاتساع والتنوع فى عهـــد هارون الرشيد ، واكتمل عقدها فى عهد المأمون . .

---

(١) الفهرست لابن النديم ط دار المعرفة — بيروت .

ومن المواقف المشهورة أن هارون الرشيد طلب بعد فتح الجيش الإسلامى لعمورية وأنقرة — تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة وأن المأمون عندما انتصر على ميخائيل الثالث قيصر بيظونته طالبه بتسليم كتب الفلاسفة القدماء وسجل ذلك فى وثيقة الصلح . .

وتعلق المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة على ذلك قائلة :

أليس هذا فتحاً جديداً فى عالم الحروب ؟

أليس ذلك دليلا فذا على أن الحروب الإسلامية كانت حروب سلام وأمن ومجد ؟ ![1] .

وإجماع المؤرخين على أن الترجمة إلى العربية أنقذت التراث القديم كله من الضياع .. فلم تكن أوربا يومئذ تعرف شيئا عنه أو تهتم به أو تحرص عليه ..

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أن المترجمين كانوا نصارى أو يهوداً أو صابئة يعملون فى مهنة الطب والفلك مثل : آل ماسرجوية الطبيب اليهودى وآل بختيشوع وهو طبيب من نساطرة النصارى و آل ماسوية وهو طبيب نصرانى ، وآل حنين بن اسحق وهو طبيب نصرانى نسطورى.

وعمل بعضهم فى الفلك والرياضيات مثل آل ثابت بن قرة وهو منجم صابئى ، وجمع بعضهم بين الطب والمنطق مثل يحيى بن عدى وهو نصرانى يعقوبى »[2] .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب — ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت .

(٢) راجع طبقات المترجمين فى كتاب . تاريخ الفكر العربى إلى أيام ابن خلدون ، عمر فروخ ص ٢٧٥ ط دار العلم للملايين — بيروت .

لقد قام هؤلاء المترجمون بالنقل من لغات العالم السائدة فى اليونان وفارس والهند والصين ، وتجمع لدى المسلمين مذاهب الفلسفة اليونانية الطبيعية والإلهية والأخلاقية ، ومذاهب الفلسفة الشرقية البوذية والمجوسية والزرادشتية وغيرها . .

وأصبحت قضايا الفكر الإسلامى ممزوجة بعقائد التناسخ والحلول والاتحاد ، واللاهوت والناسوت ، ونظرية المثل والعقول العشرة وغيرها .

وتضاربت حول هذه القضايا والعقائد — فرق ومذاهب إسلامية ووقف الفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام والفقهاء والمحدثون فى مواجهات شائكة . .

التجديد الديني

جاء لفظ « الجديد » في آيات قرآنية مثل قوله تعالى :

« وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد »(١) .

وقوله جل شأنه : وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديداً »(٢) .

وقوله سبحانه « وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد »(٣).

والمراد بالخلق الجديد هنا البعث وإعادة الإنسان مرة أخرى يوم القيامة للحساب والجزاء ..

وتشير اللغة العربية إلى أن الجديد يقابل الخلق ، وأن الجدة — بالكسر — تقابل البلى ..

وعندما نتكلم عن التجديد في الدين نريد به إعادة الناس إلى حقائق الدين ، ودعوتهم إلى الالتزام بشرائع الإسلام والوفاء بعهد الله .

وقد كان الناس قبل البعثة المحمدية يجدد دينهم الأنبياء ليعيدوهم إلى الحق وليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه ..

قال الله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى

---

(١) سورة الرعد : الآية ٥

(٢) « الإسراء : الآية ٤٩

(٣) « السجدة : الآية ١٠

الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم »[١] .

وقد ختمت الرسالات ببعثة سيدنا محمد ﷺ، فلا نبي بعده ولا رسول يعقبه ، وكملت الشريعة.. قال تعالى«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »[٢] .

فإذا اندرست معالم الدين بين المسلمين كان العلماء ورثة الأنبياء ، يقومون بتجديد الدين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمحافظة على أصول الدين وأحكامه..

وفى صحيح البخارى بسنده عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال : لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون .

وفى رواية عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك .

وقد فسر الإمام البخارى هذه الطائفة بأنهم أهل العلم ، وفسرها الإمام النووى بأنها جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحروب ، وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وزاهد وعابد .. وقال : لا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد وافتراقهم فى أقطار الأرض »[٣] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٣
(٢) « المائدة : الآية ٣
(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٢٩٥

وجاء فى حديث رواه أبو داود ، وصححه الأئمة ، قول رسول الله ﷺ : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها .

واختلف العلماء فى شرح هذا الحديث من وجوه :

هل المراد بالأمة أمة الإجابة أو أمة الدعوة ؟

وهل اعتبار المائة من الميلاد أو من البعثة أو من الهجرة أو من الوفاة؟

وهل المراد برأس المائة آخرها أو أولها ؟

وهل المبعوث واحد أو متعدد ؟

وأيا ما كان فالمراد هو استمرار الدعوة إلى هذا الدين القيم ، وتحمل المؤمنين الصادقين لتبعات هذه الدعوة ، وعناية الله تعالى ووعده بحفظ الإسلام . .

ومما لايخفى أن البعث ليس مرادا به بعث النبوة فإن النبوة قد انقطعت بعد سيدنا محمد ﷺ ، وإنما هو بعث إيجاد وتدبير وعناية تحقيقا لقوله تعالى « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[1] .

وقد اجتهد العلماء فى تعيين المجددين على مدى القرون السوالف إلا أن خير المجددين هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، فظاهر القرآن وصريح السنة يؤكد نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض فى آخر الزمان ليكون حجة على اليهود والنصارى ويدعوهم إلى دين الإسلام ويجمع الناس على الحق ..

فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم

---

(١) سورة الفتح : آية ٩

ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لايقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا ومافيها» ..

ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم «وإن من أهــل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً »[١] .

هذا وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر كانت مصائرها بيد المستعمر الدخيل الذى احتل الأرض وأفسد العقيدة ، وطمس معالم الحق ، ومزق وحدة الأمة ..

وشاء الله أن يحمل المستعمر عصاه على كاهله ويرحل ، لكنه خلف وراءه منافقين ، وسدنة لفكره ، ودعاة على أبواب جهنم ..

فتنازعت الأمــة الإسلامية وتنازعتها اتجاهات شتى تحت دعاوى الإصلاح والتجديد والتقدم والحضارة ..

ومن عجب أن تبرز دعوة البابية والبهائية والقديانية تحت ظـــلال الاستعمار البريطانى للهند ، وفى حماية اليهود ، ويتخذ أنصار هذه الفرق مدينة عكا الفلسطينية المحتلة ، كعبة لهم وملاذاً آمنا لفلولهم ..

وتقوم الجماعات الصليبية بالدعم السخى لهذه الفرق فى كل مكان يتواجدون فيه ..

لأن هذه الفرق المنتسبة للإسلام تدعى استمرار النبوة وتستحدث تشريعات عصرية تخالف أحكام الإسلام ، أهمها تحريم الجهاد ..[٢]

---

(١) سورة النساء : الآية ١٥٩

(٢) من المفارقات خلال انفجار سوق القدس فى شهر يوليو سنة ١٩٩٧م كان من بين القتلى شاب روسى يهودى ، ورفض اليهود دفنه =

كما قامت فرق وجماعات — تحت دعوى التجديد الديني — منها ماهو متطرف يحمل السلاح ويدمر كل شيء في المجتمع المعاصر ..

ومنها ما هو سوى يلتزم بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

ومنها ماهو سياسي ، يسعى إلى السلطة ويتخذ الدين وسيلة لمآربه ويدعى أنه مصلح أو داعية أو المهدى المنتظر[1] ..

ومنها ماهو علماني يريد فصل الدولة عن الإسلام ، وعزل المجتمع عن الدين ، وتنحية منهج الله عن قيادة الحياة ..

وأثيرت قضايا تتعلق بالإصلاح السياسي والتربوي ، وتطبيق الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحقوق المرأة ، والحلال والحرام في الفن .. الخ .

وتعددت الاجتهادات ..

وبعـــد ..

فهذه دعوة للحوار ، وتلك هي محاوره التي يدور حولها الاجتهاد ، وجميع الفرقاء مطالبون أن يدلوا بآرائهم ويسوقوا أدلتهم ، وينظروا في فكر الآخرين ويتفحصوا الدلائل والبينات بصفاء النية وحسن الوعي وإخلاص القلب لله ..

= في مقابرهم لأنه ليس يهودياً خالصاً ورفضت الكنيسة الرومانية دفنه في مقابرهم لأنه ارتد عن المسيحية ، وأخيراً دفن في مقابر البهائيين .

(١) في غرة المحرم سنة ١٤٠٠ هـ استولى جماعه من الشباب على الحرم المكي يتزعمهم جهيمان العتيبي ، ودعوا المسلمين إلى بيعة محمد بن عبد الله القحطاني بدعوى أنه المهدى المنتظر ، واستمرت المعارك في الحرم الشريف خمسة عشر يوماً راح ضحيتها المئات من الركع السجود .

المؤلف فى سطور

د . محمد سيد أحمد المسير

— أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين — جامعة الأزهر بالقاهرة .

— عمل أستاذاً مشاركاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى كلية التربية — فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ — ١٩٨٧ م .

— أعير أستاذا فى كلية الدعوة وأصول الدين — جامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ١٩٩٣م .

— عمل عميداً لمعهد الإمامة للدراسات الإسلامية التابع للجمعية الشرعية بالمطرية .

— عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف .

— عضو جمعية الدراسات الإسلامية بالزمالك .

— عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

— يكتب المقالات فى المجلات والصحف الإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى .

— يشارك فى البرامج الدينية الإذاعية والتليفزيونية لمصر والعالم الإسلامى .

— كان الأول على طلاب الجمهورية فى الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤م من معهد شبين الكوم الدينى .

— كان السادس عشر على طلاب الجمهورية فى الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .

— حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف فى الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣ — ١٩٧٣م .

— حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨هـ — ١٩٨٧م .

شارك فى المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

• المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى رجب ١٤٠٨هـ .

• ندوة الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان فى شعبان ١٣٠٨ هـ .

• الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الكويت ١٤٠٩ هـ .

• الندوة القومية لمواجهة الغس الشعوبى فى بغداد من ٢٢ : ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠هـ .

• المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة العراق المنعقد فى بغداد فى شهر ذى القعدة ١٤١٠ هـ (قبل الغزو) .

• المؤتمر القومى الذى نظمه المركز العربى للإعلام بالقاهرة تحت عنوان « الإدمان قضية العصر » من ١٨ : ٢٠ من فبراير ١٩٩٠م .

• المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة أزمة الخليج الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة من ٢١ : ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ .

• الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب فى طهران بتاريخ ٩ : ١٢ من سبتمبر ١٩٩١م .

• المهرجان الإسلامى العالمى فى الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين فى سجون العراق، من ١٩ : ٢١ يناير ١٩٩٢ م .

• الموسم الثقافى لشهر رمضان فى دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢هـ.

• ندوة الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل التى نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع جامعة الأزهر فى ذى القعدة ١٤١٢ هـ — مايو ١٩٩٢م.

• سافر مع وزير الأوقاف المصرى ضمن وفد رسمى لزيارة دولة الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ : ٢٥ من سبتمبر ١٩٩٢م.

• المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ : ٥ لشهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ.

• مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ.

كتب المؤلف

فى العقيدة

١ — فى نور العقيدة الإسلامية .
٢ — أدب الحديث عن الله .
٣ — علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .

فى الفلسفة

٤ — الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة .
٥ — المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه .

فى الأديان

٦ — المدخل لدراسة الأديان .
٧ — أصول النصرانية فى الميزان .
٨ — أوربا والنصرانية .
٩ — المسيح ورسالته فى القرآن .
١٠ — عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى « تحت الطبع »

فى الفرق الإسلامية

١١ — قضية التكفير فى الفكر الإسلامى .
١٢ — الحوار بين الجماعات الإسلامية .
١٣ — مقدمة فى دراسة الفرق الإسلامية .

في السيرة النبوية

١٤ — الرسول في رمضان .
١٥ — الرسول حول الكعبة .
١٦ — الرسول والوحي .
١٧ — الرسول وقضايا المجتمع .
١٨ — الرسول والموافقات .

في الشريعة الإسلامية

١٩ — محاورة تطبيق الشريعة .
٢٠ — نحو دستور إسلامي .
٢١ — أخلاق الأسرة المسلمة .

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير

— رحمه الله تعالى —

٢٢ — السنة مع القرآن .
٢٣ — السنة المطهرة .
٢٤ — إلزام القرآن للماديين والمليين .
٢٥ — دراسات قرآنية .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٧٨٨ لسنة ١٩٩٧ م
I.S . B.N — 977 — 19 — 4207 — 2
فى ١٥ / ٩ / ١٩٩٧ م